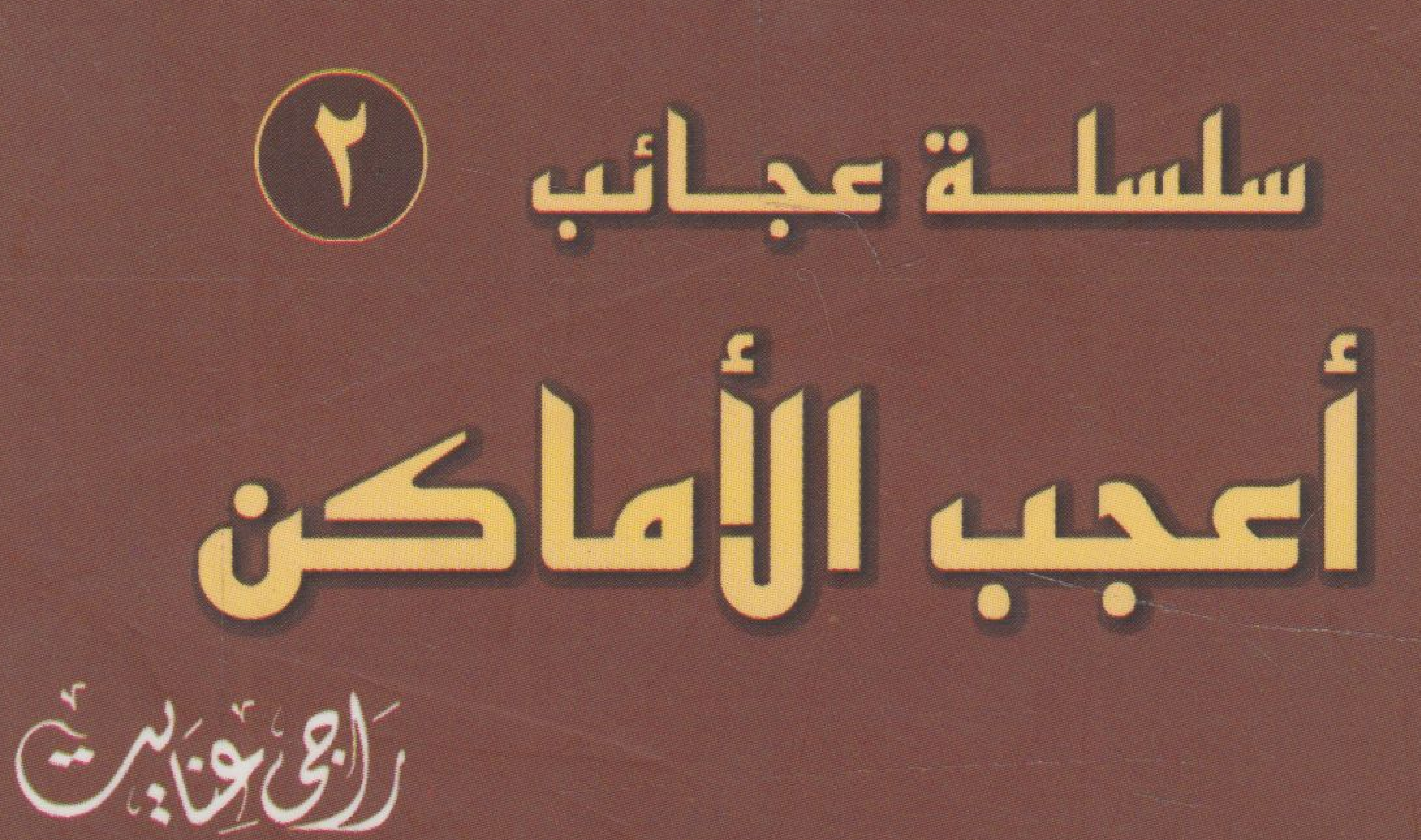


سلسلة عجائب ٢

أعجب الأماكن

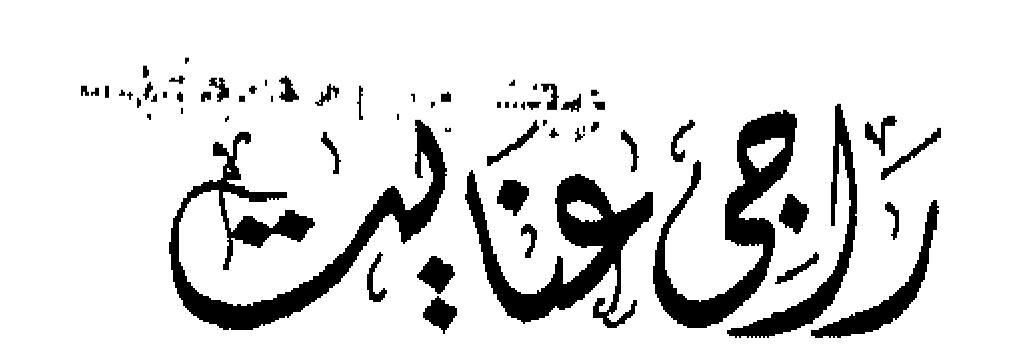
راجي عنايت



للطباعة والنشر والتوزيع



أتلانتا، القارة المفقودة - أحجار سالزبيرى الهائلة
فيراكوتشا، الإله الأبيض - سر انفجار تانجاسكا
(شانجرى - لا) جنة التبت - الرعب فى مثلث برمودا
لغز الرسوم العملاقة - سارجاسّو مقبرة السفن





اسم الكتاب: أعجب الأماكن!
سلسلة: عجائب (٢).
المؤلف: راجي عنايت.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة الثالثة - يناير 2008م.
رقم الإيداع: 2006 / 11479
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3456-X

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء: 25909827 (02)
البريد الإلكتروني لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولي التخصصي - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

مقدمة

أعجب الأماكن

الإنسان هو ابن المكان.. منذ أن يخرج إلى الحياة، إلى ما بعد نهاية هذه الحياة..

والمكان هو الذى يحدد التأثيرات الكونية على الإنسان حين خروجه إلى الحياة، عندما يخضع لحصيلة العلاقات الجاذبية والمغناطيسية التى تسود ذلك المكان.. وكما يشكِّل المكان وجدانَ الإنسان، يحدد طبيعته الجسدية، بحكم نوع الغذاء المتوفِّر والطقس السائد.

غير أن الإنسان قادر – أيضًا – على أن يصنع صورة المكان الذى يعيش فيه، وأن يتصور أماكن أخرى بعيدة عنه زمانًا ومكانًا، تحمل أغلى أحلامه وأجملها، وأقسى كوابيسه التى يخشاها!

وهذا الكتاب يستعرض أعجب الأماكن التى أثارت فضول البشر على مر الأجيال..

ابتداءً من القارة المفقودة «أتلانتا» التى تحدَّث عنها الفيلسوف الكبير أفلاطون بإسهاب، وجسَّد فيها مدينته الفاضلة.. وترك لمن خلفه من البشر أن يبحثوا عن أطلال تلك القارة، وعن حضارتها التى قيل إنها مصدر الحضارات المختلفة فى العالم.

وكالعادة، اختلفوا فى تحديد موقعها وزمنها.. فنجد من أصرَّ على أن مركزها فى المحيط الأطلنطى الذى تحمل اسمه.. ونجد من يسعى إلى إثبات أنها قامت فى المحيط الباسيفيكى، فى الناحية الثانية من القارة الأمريكية.. وحتى نصل إلى أولئك الذين يقولون لنا: «ولماذا هذا البحث البعيد؟ إنها هنا أمامنا.. فى جزيرة كريت!»، والأماكن العجيبة كثيرة.. مواقع الأحجار هائلة الحجم، ذات الترتيب الدقيق فى الجزيرة البريطانية.. ومواقع الرسوم العملاقة التى لا ترى إلا لمن يشاهدها عاليًا من الفضاء.. كذلك لغز ذلك الانفجار العجيب الذى حدث فى سيبيريا، والذى يقترب فى قوته من القنبلة الذرية!

ثم ذلك الحلم الجميل عن الجنة القابعة عند قمم جبال الهيمالايا.. مدينة فاضلة أخرى تجسد آمال وأمانى البشر، فى مجتمع بشرى أفضل وأكرم وأعقل..

أمَّا الكابوس من بين تلك الأحلام، فيتجسد فى أسطورة مثلث الرعب فى برمودا بالمحيط الأطلنطى.. تلك المقبرة الكونية التى تبتلع ما يمر فوقها من طائرات وسفن.

العديد من تلك العجائب ما زالت سرًّا مغلقًا على الإنسان، تستفز العقول النشطة إلى محاولة فهمها، وإدخالها فى السياق المنطقى لثقافة البشر.. وما زال البحث والتنقيب مستمرًّا.

راجى عنايت

مملكة أطلس الغامضة!

أعجب الأماكن.. ومع ذلك أكثرها إثارة للخلاف حول حقيقتها.. هى ليست قرية صغيرة، أو مدينة مهجورة، إنها قارة كاملة، سبقت حضارتها جميع الحضارات المعروفة! كتب عنها آلاف الكتب والدراسات على مدى القرون، يتصورها البعض صورة تاريخية للمدينة الفاضلة، ويرى البعض الآخر أنها وهم كبير أراد به الإنسان أن يعوّض الواقع المرير الذى يعيشه..

كتب عنها باستفاضة الفيلسوف العظيم أفلاطون، واعتبرها أصل الحضارات التى نشأت فى الغرب والشرق.. وأسهب إدجار كايس، صاحب القدرات الخارقة، فى وصف رؤيته لها.. وانشغل بها آلاف العلماء والدارسين.. واختلف البشر حول موقعها التاريخى: فى المحيط الأطلنطى، أم المحيط الباسيفيكى، أم فى البحر الأبيض المتوسط!

إنها قارة أتلانتا المستقرة عند قاع المحيط الأطلنطى.

اعتمد الإغريق طويلاً على أسطورة أطلس فى تفسير استقرار الأرض وسط السموات.. وعندما طرح الفيلسوف العظيم أفلاطون رؤيته حول حقيقة قارة أتلانتا، قال إن أطلس، صاحب الأسطورة، كان أول ملوك قارة أتلانتا وإنها استمدت منه اسمها.

ومن بين جميع ألغاز العالم التى لم يصل الإنسان إلى تفسير لها، تعتبر أتلانتا الأكبر.

باختصار، تقول الروايات بوجود قارة هائلة ضخمة، كانت تتوسط المحيط الأطلنطى، بين القارة الإفريقية، والقارة الأمريكية، وكانت ذات حضارة عظيمة تفوق جميع الحضارات التى عرفها البشر..

وتقول الروايات إن تلك القارة اختفت من الوجود بين ليلة وضحاها.. غرقت فى المحيط، ساحبةً معها أى أثر لوجودها! وهذا ما حدا بالبعض إلى القول بأن أتلانتا كانت، وما زالت، رمزًا لحلمنا بتاريخ ذهبى للبشرية.

واليوم يمضى بعض الباحثين والمغامرين فى حماس للحصول على أى دليل أو قرينة باقية من القارة العظيمة المفقودة.. وهم يعتمدون فى هذا على أكثر الوسائل العلمية تطورًا؛ على أمل التوصل إلى القارة التى يقال إنها غرقت منذ ١١٦٠٠ سنة.. ويبقى السؤال قائمًا: هل كانت أتلانتا حقيقة، أم هى مجرد وهم أو أمنية من صنع خيال البشر؟!

وصف أتلانتا.. أم الجنة؟!

يجمع الباحثون الذين سعوا إلى دراسة هذه القارة المفقودة على أنها كانت أقرب ما تكون فى وصفها إلى الجنة! الخضر والفاكهة تنمو بغزارة فى تربتها الخصبة.. الزهور العطرة والأعشاب المفيدة كانت تزدهر وسط الغابات التى كانت تشغل سفوح جبالها العديدة الجميلة، جميع الحيوانات المستأنسة، وغير المستأنسة كانت ترعى فى سهولها وغاباتها الرائعة،

وتروى عطشها من أنهارها وبحيراتها.. تحت تربتها، تتدفق الأنهار ذات المياه العذبة التى كانت تستخدم فى الزراعة، وتوفر لأهل القارة نافورات المياه الباردة والساخنة.

كانت أرض أتلانتا غنيةً بالمعادن الثمينة، كان أهلها أكثر ثراءً ممن سبقهم أو تلاهم من البشر. كانت معابدهم ومبانيهم العامة مزخرفة بثراء؛ بالذهب والفضة والنحاس والرصاص والعاج، بالإضافة إلى مهارات أهل أتلانتا فى التعامل مع المعادن؛ كانوا مهندسين مهرة، فلقد توصلوا إلى نظام ضخم ومركّب من القنوات والجسور التى تربط بين أنحاء مدينتهم والعاصمة، وبينها وبين البحر، وبين الأرض الزراعية.. وكانت لديهم الموانئ والأرصفة التى يرسو عليها أسطولهم الذى يقوم بالتجارة مع البلاد الأخرى البعيدة.

وتمضى الأسطورة إلى القول بأن أهل أتلانتا كان لديهم كل ما يطلبونه من أجل راحتهم وسعادتهم.. كانوا لطفاء، حكماء، محبين، غير متأثرين بثرواتهم الكبيرة، يعلون الفضيلة على أى شىء آخر.. بعض الأساطير تقول إنهم لم يعودوا يكتفون بحكم بلادهم العظيمة الثرية وفيرة الخيرات، فراحوا يشنون الحروب على الآخرين! (لا أدرى لماذا أشعر أن تاريخ أتلانتا القديم هو التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية.. أو هو النبوءة التى يجب أن تتعظ بها أمريكا).

لقد اندفعت جيوشهم الضخمة عبر مضيق جبل طارق إلى دول البحر الأبيض المتوسط، غازين مساحات واسعة من شمال

إفريقيا وأوربا.. هاجمت جيوش أتلانتا أثينا ومصر، غير أن جيش أثينا نجح فى التصدى لتلك الجيوش، واضطرهم إلى العودة خارج مضيق جبل طارق..

لم تكد بلاد البحر الأبيض تبدأ فى الاحتفال بانتصارها على جيوش أتلانتا، حتى وقعت الكارثة التى محت فى وقت قصير قارة أتلانتا بما عليها، وهوت بها إلى قاع المحيط الأطلنطى..

وتتواصل الأسطورة، فتقول إنه ربما كان هناك عدد قليل من الناجين الذين وصفوا تلك الكارثة!

أفلاطون .. وأكثر من أتلانتا!

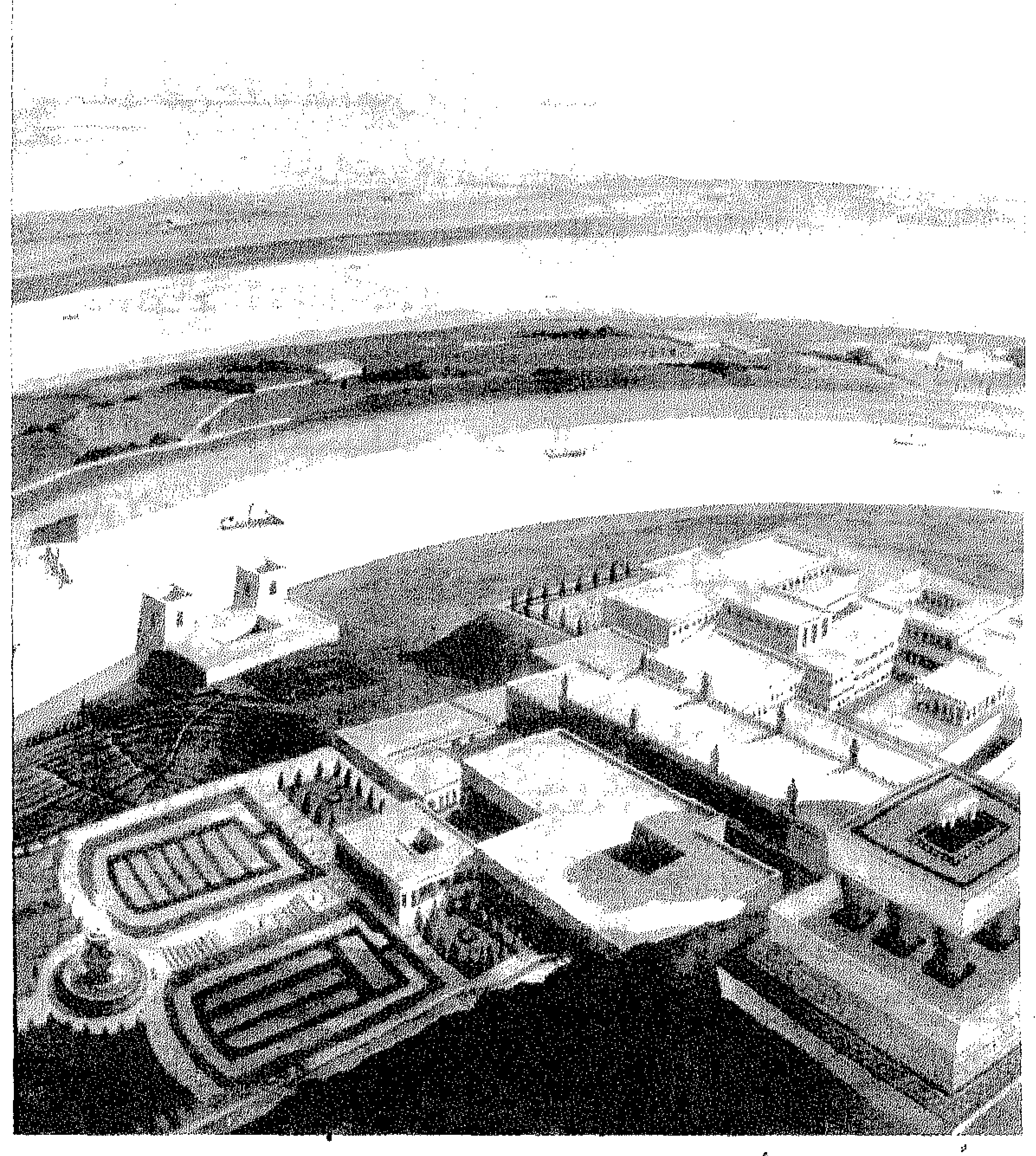
أول من سطّر هذه الأسطورة على الورق، كان الفيلسوف الإغريقى الشهير أفلاطون الذى كتب عام ٣٥٥ قبل الميلاد عن أتلانتا فى اثنين من حواراته الشهيرة. ورغم ادعاء أفلاطون بأن قصة القارة المفقودة قد وصلته من المخطوطات المصرية القديمة، فإن المختصين قد أثبتوا عدم وجود مثل تلك المخطوطات فى السجلات المصرية القديمة.. بل لم يكتب أحد قط عن أتلانتا قبل أفلاطون.. وكل كتاب أو مقال ظهر بعد ذلك، اعتمد على رواية أفلاطون.

والمعروف عن أفلاطون أنه كان قصاصًا موهوبًا؛ لذا سعى إلى وضع أفكاره الفلسفية ضمن قصص تبدو واقعية، متضمنة بعض الشخصيات المعروفة.. وحقيقة، إن روايته ظلت متداولة بعد ٢٣٠٠ سنة من كتابتها، وهو الدليل على قوة الموهبة القصصية

التى تمتع بها! لقد حفزت هذه القصة العديد من المستكشفين والمغامرين لمحاولة الوصول إلى القارة المفقودة.

وحتى بدون الاعتماد على قصة أفلاطون، فإن السعى إلى إجابات عن هذه الألغاز قادت البعض إلى التفكير فى «حلقة مفقودة» بين القارات.. فى يابسة كانت معبرًا بين القارات، سكنها شعب متطور للغاية فى التاريخ القديم. واعتقد فى نظرية تباعد القارات، وأنها كانت فى الأصل أرضًا متصلة ببعضها، ثم تمددت الكرة الأرضية، فتباعدت القارات، وقامت بينها البحار والمحيطات.. هذه النظرية قد تحمل إجابة عن التساؤلات المطروحة لوجود أحياء ونباتات وثروات معدنية، متطابقة فى قارات لم تكن بينها يابسة أو وسيلة انتقال فى الأزمان القديمة.

ورغم أن أفلاطون فى روايته قد حدد مكان أتلانتا فى المحيط الأطلنطى، ورغم أن من تبعه من الجغرافيين ورسامى الخرائط ساروا على نهجه.. فمنذ ذلك التاريخ، عمد الدارسون والمتحمسون لفكرة القارة المفقودة إلى مسح الكرة الأرضية؛ للعثور على موقع آخر أكثر إقناعًا. والغريب أن المواقع المختارة لم تكن جميعها دائمًا فى المحيطات.. لقد حددوا موقع مملكة أتلانتا، فى مواقع مختلفة، فى أزمان مختلفة.. فى المحيط الباسيفيكى، وبحر الشمال، والصحراء الإفريقية، والسويد، وجنوب إسبانيا، وفلسطين، وقبرص، وكريت، وجزر الهند الغربية، وبيرو.. ومواقع أخرى!



وفقًا لما جاء في وصف أفلاطون للقارة المفقودة تصور الرسام عاصمتها، بمبانيها ومعابدها وحلقاتها الملاحية التي تربط بينها وبين المحيط.

.. وأصحاب القدرات الخاصة أيضًا!

مع غياب الأدلة المادية على قارة أتلانتا، انشغل أصحاب القدرات العقلية الخاصة على مدى القرون بمحاولة التوصل إلى معلومات جديدة، اعتمادًا على قدراتهم الخاصة.. وهم يعتقدون أنه بالإمكان الوصول إلى الماضى، لأصحاب القدرات الخاصة الذين يستطيعون ضبط تناغمهم مع ذلك الماضى، ومعايشة الأحداث القديمة، عن طريق الجلاء البصرى.

من خلال ذلك، ظهرت أوصاف جديدة نابضة للحياة فى أتلانتا.. البعض عمد إلى مجموعة إضافات لما قاله أفلاطون، أما البعض الآخر فقد قدّم أوصافًا مدهشة وعجيبة، يصعب أن يصل إليها من لم ينجح فى التناغم مع الزمن القديم.. فى عام ١٨٩٠، اعتمد الإنجليزى صاحب القدرات الخارقة دبليو سكوت- إيليوت على قدراته التخاطرية فى القول بأن أتلانتا كانت تحتل كل الذى نعرفه اليوم باسم المحيط الأطلنطى قبل وقتنا بمليون سنة!

ووفقًا لروايته، كانت تسكنها قبائل مقاتلة، من بينها قبيلة «روموهالز» التى تضم الأبورجينيين السود الذين كان يتراوح طول الواحد منهم ما بين ١٠ و ١٢ قدمًا، وكان الجنس الحاكم من قبيلة «تولتكس» الذين على الرغم من أنه لم يزد طول الواحد منهم على ثمانى أقدام استعبدوا أبناء قبيلة الطوال! ويقول سكوت - إيليوت إنه منذ ٢٠٠ ألف سنة، هاجرت مجموعات من قبيلة «تولتكس» إلى مصر والمكسيك، وزار بعضهم إنجلترا.

وقد كان حكام أتلانتا يمارسون السحر الأسود؛ لذلك عانوا كثيرًا من الكوارث التي لحقت بهم؛ كالزلازل والفيضانات ولم ينجُ منهم إلا الذين هاجروا.

والرجل الآخر من أصحاب القدرات الخاصة الذى أضاف إلى أدبيات قارة أتلانتا، كان إدجار كايس، الأمريكى الذى توفى عام ١٩٤٥، والذى اشتهر بلقب «النبى النائم»؛ نتيجة لقدرته على الوصول إلى المعلومات، وإحداث التغييرات، ونجاحه فيما يطلق عليه العلاج الروحى وهو فى حالة أقرب إلى النوم.. كان كايس يستطيع، وهو فى حالة التأمل اليوجى العميق، أن يسرد آلاف «الحوارات الخارقة» التى تخص زبائنه، وحيواتهم السابقة نتيجة للتناسخ. ووفقًا لكايس فإن بعض زبائنه كانوا فى حياة بالغة القدم يعيشون فى أتلانتا! ومن خلال وصفهم لتلك الحياة البعيدة، أضاف الكثير من التفاصيل المبهرة عن الحضارة العظيمة التى اختفت.

تلك التفاصيل تضمنت استخدام أهل أتلانتا لأشعة الليزر التى وصفها كايس عام ١٩٤٢، نقلاً عنهم، قبل أن يصل إليها العلم الحديث ويطورها بسنوات عديدة.

التصور الذى طرحه إدجار كايس من خلال كتاباته المتعددة عن قارة أتلانتا، يقوم على أن أهل أتلانتا كانوا على نفس الدرجة من التطور التكنولوجى الذى توصلنا إليه، وأن نهايتهم المأساوية كانت تعود إلى ما توصلوا إليه من تطورات فى مجال الطاقة الهائلة التى يرجح أنها كانت طاقة نووية.

كثير من الناس سخروا من أقوال كايس، كما استنكروا القصة التى تبناها أفلاطون، لكن يبدو أن أصحاب القدرات العقلية الخاصة ستكون لهم الكلمة الأخيرة. وهم يقولون إن الكرة الأرضية دخلت فى بداية مرحلة تقلبات كبرى، سيكون من نتائجها أن تظهر أجزاء كبيرة من أتلانتا ثانيةً فوق سطح البحر!

فى عام ١٩٤٠، تنبأ كايس بأن تلك التغيرات ستبدأ ما بين عامى ١٩٦٨و ١٩٦٩ بصعود «القطاع الغربى من أتلانتا» إلى أعلى من قاع المحيط، بالقرب من البهاما.. الغريب للغاية، أنه فى عام ١٩٦٨ تم رصد عدة تكوينات تحت الماء، بما فى ذلك ما يبدو كمبانٍ متهدمة قرب شواطئ بيمينى فى البهاما. يرى أتباع كايس أن ما تم رصده يعتبر تحققًا لنبوءة كايس، وأن الكثير من الاكتشافات الأكبر والأهم فى العقود الثلاثة التالية.

.. وحفيد مكتشف طروادة!

فى ١٩١٢، نشرت جريدة (نيويورك أمريكان) مقالاً مثيرًا، بقلم دكتور بول شليمان، حفيد هينريش شليمان المستكشف الكبير الذى اكتشف طروادة التاريخية. قال بول فى مقاله إنه لديه عملات ولوحات معدنية، عليها مخطوطات تنتمى إلى حضارة أتلانتا.

فى مقاله الذى اختار له عنوان «كيف اكتشفت أتلانتا، منبع جميع الحضارات»، قال بول إن تلك الآثار الراجعة لحضارة

أتلانتا قد وصلت إليه من جده الشهير الذى اكتشفها أثناء قيامه بحفرياته العديدة .

توفى شليمان الجد قبل أن يتوصل إلى الأدلة الكاملة عن القارة المفقودة، لكنه ترك لأسرته مظروفًا مختومًا، به العديد من الأوراق السرية عن أتلانتا، بالإضافة إلى آنية فخارية تاريخية ذات غطاء على شكل رأس البومة، وقد كتب الجد على المظروف من الخارج تحذيرًا بعدم فتح المظروف إلاَّ فى وجود أحد أفراد العائلة يكون مستعدًّا لأن يفرد حياته فى الأبحاث التى تتناولها الأوراق التى فى المظروف.

أعلن بول شليمان قبوله بذلك التعهد.. وفتح المظروف.. أول تعليمات الجد كانت فتح آنية رأس البومة. داخل الآنية، وجد بول عملات مربعة من سبيكة البلاتين والألومنيوم والفضة، ولوحًا من معدن يشبه الفضة، عليه كتابات فينيقية تقول: «تم صكّها فى معبد الجدران الشفافة». ملاحظات الجد المرفقة تتحدث عن مكتشفات تم العثور عليها فى موقع حفريات طروادة، ومن بينها آنية برونزية ضخمة، تحتوى على عملات من المعدن، والعظام، والفخار.. وقد كتب على الآنية وبعض محتوياتها «من الملك كورنوس، ملك أتلانتا»!

كتب بول شليمان يقول معلقًا على ذلك: «لكم أن تتصوروا مدى انفعالى.. ها هو أول دليل مادى على تلك القارة العظيمة التى عاشت أساطيرها على مر الزمن..». واستطرد بول قائلاً إنه عمد إلى الاستفادة من هذه القرائن فى أبحاثه الخاصة؛ مما

قاده إلى حل لغز أتلانتا غير أن معاصريه من الأثريين رأوا أن أبحاثه لم تمض إلى ما هو أبعد من دراسة حجج من سبقوه من المتحمسين لأسطورة القارة المفقودة.

وكغيره ممن سبقوه، زعم بول شليمان أن حضارتى العالم القديم والجديد لهما أصول مشتركة نجدها فى أتلانتا. قال بول إنه قرأ (تروانو كودكس)، وهو نص قديم من حضارة «المايا»، التى قامت فى أمريكا الجنوبية، الذى عرف باستعصاء ترجمته حتى ذلك الحين. يتحدث ذلك النص عن غرق جزيرة يطلق عليها اسم «مو» ويقول بول إنه وجد ارتباطًا بين ذلك وبين مخطوط قديم يزيد عمره على ٤٠٠ سنة، فى معبد بوذى بالتبت.

دونيللى .. عاشق أتلانتا

من بين أصحاب النظريات حول أتلانتا الذين رجحوا وجودها فى المحيط الأطلنطى، تميز بينهم بالجهد الذكى والدقة الأمريكى إجناتيوس دونيللى الذى يطلق عليه أحيانًا لقب «رائد الأتلانتولوچية العلمية».. حيث إن أتلانتولوجى تعنى علم أبحاث أتلانتا.

ولد دونيللى فى فيلادلفيا عام ١٨٣١، ودرس القانون وأصبح محاميًا فى سن ٢٢، ثم صدرت له بعد ذلك «جريدة المهاجر» التى حاول أن يؤسس بها حركة هجرة داخلية إلى منتصف الغرب الأمريكى، حول مدينة «نينينجار»؛ المدينة التى اعتبرها مشروعه الأكبر، والتى اتخذها هدفًا للهجرة.. غير أن حلمه لم ينجح؛ نتيجة لحالة الكساد الاقتصادى التى سادت أمريكا فى خمسينيات القرن التاسع عشر.

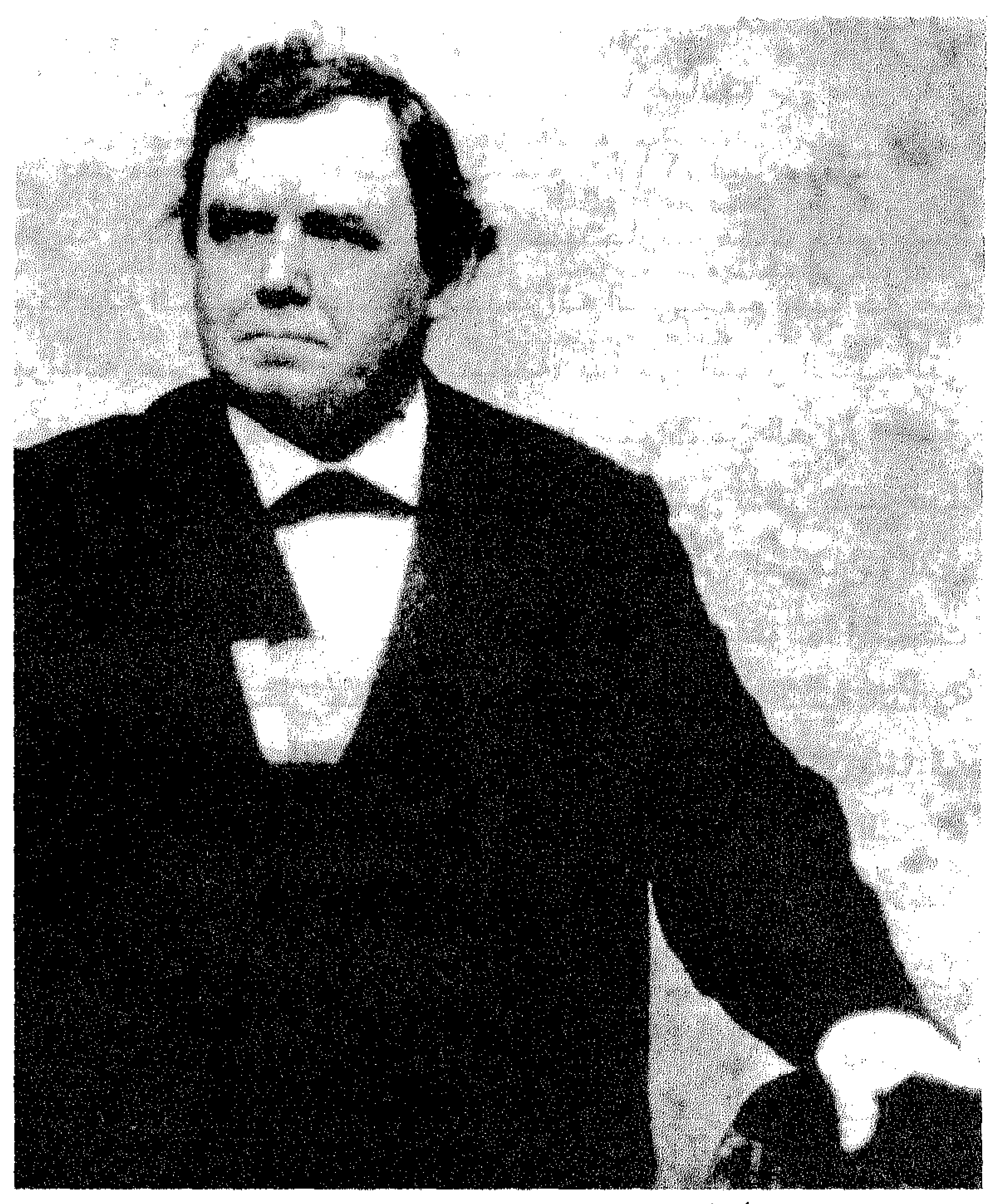
ثم اتجه الشاب النشيط بعد ذلك إلى السياسة، وانتخب حاكمًا لولاية مينيسوتا وعمره ٢٨ سنة. بعد ذلك بأربع سنوات، انتخب عضوًا بالكونجرس لمدة ٨ سنوات، وخلال تلك المرحلة من حياته، عرف دونيللى بالذكاء والإقدام والبلاغة فحظى باحترام باقى النواب.

وخلف الصورة الرسمية المعلنة لدونيللى فى ذلك الوقت، كان يعانى وحدة شديدة. فبعد قدومه إلى واشنطن مباشرة، توفيت

زوجته، وقد وجد دونيللى العزاء فى البحث والدراسة.. وعلى مدى دورتيْن من تمثيله لمينيسوتا، أمضى دونيللى ساعات طويلة فى مكتبة الكونجرس الرائعة، مستقبلاً كل ما صادفه من معلومات.

بعد هزيمته فى الانتخابات عام ١٨٧٠، لجأ دونيللى إلى مدينة الأشباح التى أحبَّها دائمًا «نينينجار»، وهناك جلس وسط مكتبته الخاصة الكبيرة، ومذكراته التى جمع فيها خلاصة قراءاته على مدى السنوات السابقة، بدأ فى إنجاز الكتب التى حققت له الشهرة فى أنحاء العالم. بعد سنوات من العزلة وضيق ذات اليد التى أمضاها منكبًّا على المهمة التى سخر نفسه لها، قدم دونيللى تحفته «أتلانتا.. العالم البازغ من الطوفان» الذى نشر عام ١٨٨٢، وجاء كدراسة فريدة للقارة المفقودة، أصبحت فى يوم وليلة مثار حماس الجميع، ثم كتب فى السنة التالية كتابه الثانى «راجنورك، عصر النار والحصى» الذى لحق بسابقه فى قائمة أعلى المبيعات، وقد تناول فى كتابه الثانى المعالم الكونية للكوارث الطبيعية مثل التى يفترض أنها أغرقت أتلانتا.

ويمكن قياس مدى تأثير دونيللى على دراسات أتلانتا، بالنجاح الكبير والمتصل لكتبه؛ فكتابه الأول- على سبيل المثال - تمت إعادة طبعه ٥٠ مرة وما زالت تصدر منه طبعات جديدة، بعد ما يزيد على قرن من صدوره لأول مرة. لقد استطاع دونيللى بكتابه هذا أن يحوّل ما كان عند ذلك الوقت، بين المثقفين مجرد تصورات إلى عقيدة شعبية كتب لها البقاء منذ الحين.



دونيللى، السياسى الأمريكى الذى تفرغ للبحث عن القارة المفقودة وصاحب الخريطة التى تصور الإمبراطورية وهى تمتد من أمريكا إلى أوربا وإفريقيا، عبر المحيط الأطلنطى.

١٢ فرضًا لدونيللى:

ما قام به عملاق الأتلانتولوجى يتجاوز مجرد التصديق على رواية أفلاطون. لقد اعتمد على تلك الرواية كأساس لرسم الصورة التى رسمها لأتلانتا والتى تجاوزت ما سبق من جهود.. ويمكن تلخيص نظرياته حول أتلانتا فى ١٣ فرضًا:

١- ذات يوم، وجدت فى المحيط الأطلنطى، مقابل مدخل البحر الأبيض المتوسط، جزيرة كبيرة؛ هى من بقايا قارة أطلنطية، عرفها العالم القديم باسم أتلانتا.

٢- الوصف الذى طرحه أفلاطون للجزيرة، لم يكن كما ساد الاعتقاد طويلاً مجرد حكاية خيالية، بل كان سردًا لتاريخ صادق.

٣- أتلانتا هى المنطقة التى تطور فيها الإنسان من حالة البربرية إلى حالة التحضر.

٤- وأنها أصبحت على مر العصور دولة زاخرة بالسكان وقوية.. وأنه بفضل تدفق أهلها تجاه شواطئ خليج المكسيك، ونهر المسيسبى، والأمازون، والشاطئ الباسيفيكى لجنوب أمريكا، والبحر الأبيض المتوسط، والشاطئ الغربى لأوربا وإفريقيا، والبحر الأسود، أصبحت جميعًا مسكونة ببشر متحضرين.

٥- وأنها كانت حقيقة عالم ما قبل الطوفان: جنة عدن، وحدائق هيسبيريداس، والحقول الفردوسية، وحدائق الكينوس، والميزومفاليس، والأولمب.. مثوى تقاليد الدول التاريخية، حيث عاش البشر الأول عصورًا من السلام والسعادة.

٦- وأن آلهة وإلهات اليونان القديمة، والفينيقيين، والهندوس، والاسكندنافيين، كانوا ببساطة ملوك وملكات وأبطال أتلانتا، وأن ما نسب إليهم فى ميثولوجيا تلك الحضارات هو ذكريات مختلطة لأحداث تاريخية حقيقية.

٧- وأن ميثولوجيا مصر وبيرو تمثل الدين الأصلى لأتلانتا الذى كان يقوم على عبادة الشمس.

٨- وأن الأرجح هو أن أقدم المستعمرات التى أنشأها أهل أتلانتا كانت فى مصر التى كانت حضارتها صورة قريبة لحضارة قارة أتلانتا.

٩- وأن بذرة «العصر البرونزى» فى أوربا كانت مستمدة من أتلانتا، وكان أهل أتلانتا أول من صنّع الحديد.

١٠- وأن الأبجدية الفينيقية مصدر جميع الأبجديات الأوربية كانت مستمدة من أبجدية أتلانتا التى انتقلت أيضًا منها إلى بلاد «المايا» فى أمريكا الوسطى.

١١- وأن أتلانتا كانت التربة الأصلية لشعوب الجنس الآرى، أو الهندو - أوروبى، وكذلك الشعوب السامية ومن المحتمل أيضًا الأجناس الطورانية.

١٢- وأن أتلانتا قضى عليها فى تقلّب شديد العنف من تقلبات الطبيعة حيث اختفت اليابسة تمامًا تحت الماء مع ما عليها من بشر، تقريبًا.

١٣- وأن عددًا قليلاً من أهل أتلانتا هربوا من الكارثة فى سفن، أو منصات عائمة، إلى الدول شرقًا وغربًا فنقلوا أخبار الكارثة التى بقيت حتى يومنا هذا فى أحاديث البشر عن حكايات الطوفان فى مختلف الدول القديمة والجديدة.

يقول روى ستيمان فى كتابه «أتلانتا، والأرض المفقودة» إن دونيللى لم يكتشف أتلانتا فقط، لكنه نجح فى فك أسرار معظم الأمور الغامضة للحياة البشرية، لقد قال إن أتلانتا هى مصدر جميع الحضارات (أفلاطون لم يدّعِ هذا).. لقد ناقش أوجه التشابه بين العديد من الأنواع التى شاعت فى أوربا وأمريكا؛ كالنبات والحيوان، يرجع إلى أنها جميعًا لها أصل واحد، هو الذى وُجد فى أتلانتا.

ويضيف ستيمان: «هذا الأفق العريض من المعارف، أتاح له إثبات الصلة بين أتلانتا وغيرها من الحضارات، من خلال الدراسات اللغوية.. لقد صرح بأن لغات العالم الحديث وثيقة الاتصال بلغات العالم القديم.. وبالنسبة لأولئك الذين يرون أن رواية أفلاطون قد تركت العديد من الأسئلة بلا إجابات، استطاع دونيللى أن يكسو باللحم عظام تلك الأسطورة!».

بعد نشر كتاب دونيللى مباشرة، حظى دونيللى باستجابات غير مسبوقة.. فيقال إن رئيس الوزراء البريطانى وليم جلادستون كتب له خطابًا يعرب فيه عن إعجابه. بل بلغ من فرط ذلك الإعجاب أنه حاول إقناع البرلمان برصد ميزانية لبعثة استكشافية تبحث عن آثار القارة الغارقة.

لويس سبنس .. عاشق آخر:

ومن بين أهم من انشغلوا بالدراسة العلمية لموضوع أتلانتا، كان عالم الميثولوچيا الأسكتلندى لويس سبنس الذى أصدر مجلة فصلية أطلق عليها «فصلية أتلانتا»، كما كتب خمسة كتب عن القارة المفقودة، ورغم أنه لم يحظ بشعبية دونيللى لكن جهوده حظيت بتقدير أكبر فى الأوساط العلمية.

ومن أهم الأفكار التى قال بها لويس سبنس:

- أن القارة الكبيرة كانت فى البداية تشغل جميع أو معظم منطقة شمال الأطلنطى، بالإضافة إلى جانب كبير من الشق الجنوبى، وأن أصولها الجيولوجية القديمة ترجح أنها – على مر العصور المتعاقبة – عرفت عدة تغيرات فى إطارها وكتلتها، ومرت بالعديد من عمليات الاختفاء والظهور وسط المحيط.

- وخلال تاريخها الطويل انقسمت إلى كتلتين، إحداهما أكبر من الأخرى، تمتد بينهما مجموعات من الجزر الصغيرة. بدأت الكوارث باختفاء الجزيرة الكبرى سنة ١٠٠٠٠ قبل الميلاد، أما الجزيرة الصغرى فالأرجح أنها بقيت لزمن أطول. وقد ناقش سبنس الكثير من النتائج التى وصل إليها دونيللى والأدلة التى ساقها حول السمات المشتركة بين حيوانات ونبات ولغات العالم القديم، وأمريكا أو العالم الجديد.

ويرى الكثيرون أن سبنس هو أفضل مرجع لموضوع قارة أتلانتا، وقد بلغت معرفته بالموضوع أن يستشيره الكاتب الكبير،

سير آرثر كونان دويل، عند إعداده لروايته المثيرة «العالم المفقود» التى تتضمن رحلة إلى أدغال البرازيل، بحثًا عن عالم غامض خفى.

كما أقام سبنس اتصالاً بريديًّا بالمستكشف الإنجليزى كولونيل بيرسى فاوسيت الذى كان يخطط هو أيضًا لرحلة شبيهة.. وقد اعتقد فاوسيت أن أمريكا الجنوبية ربما كانت جانبًا من قارة أتلانتا، وأن المدن الغامضة التى تشيع التقارير عن وجودها فى أعماق أدغال الأمازون من المحتمل أن يكون بُناتها من أبناء أتلانتا الذين نجوا من الكارثة الكبرى.

لم يكن فاوسيت الوحيد الذى مال إلى الربط بين أمريكا القديمة وأتلانتا، والمعروف أن كلاًّ من دونيللى وسبنس قد استخدما ثقافة أبناء (المايا) كدليل فى بحثهم عن حقيقة أتلانتا. فالحضارة القديمة الغامضة التى ازدهرت فى القارة الأمريكية الجنوبية ما زالت تثير الإعجاب والدهشة عند الكثيرين، حتى يومنا هذا.

فيراكوتشا .. الإله الأبيض، هل جاء هاربًا من كارثة أتلانتا؟

عاليًا فوق هضبة معزولة فى (الأنديز) تنتصب أطلال مدينة قديمة، صامتة، باهتة، وغامضة.. يميل كثير من الباحثين إلى اعتبارها مصدر كل ما يقال عن القارة المفقودة «أتلانتا».

تلك هى (تياهوانكو) القريبة من لابان، فى بوليفيا الحديثة، و(تياهوانكو) بموقعها الفريد، وبارتفاعها الذى يصل إلى ١٣ ألف قدم فوق سطح البحر، وسط الصخور العارية، تحيطها الجبال البركانية.. أكثر الأماكن عزلةً على الأرض، ومع ذلك فقد كانت هذه المدينة ذات يوم قلب حضارة قوية، بناها بشر غير معروفين، عاشوا على شواطئ بحيرة (تيتيكاكا) منذ مئات وربما آلاف السنين، قبل ظهور شعب (الإنكا).

تقول الأسطورة إن تياهوانكو شيدت لعبادة الإله الأبيض (فيراكوتشا) الذى هبط على البلاد فى الماضى السحيق، جالبًا على أهلها جميع فنون وقوانين حضارة متطورة غير أن (فيراكوتشا) اختفى بعد ذلك فى البحر ولم يفِ بوعد العودة الذى قطعه على نفسه.

كانت تياهوانكو قد تحولت جزئيًا إلى خرائب عندما عثر عليها أبناء قبائل الإنكا فى بداية القرن الثالث عشر. وعندما

وصل الغزاة الإسبان، بعد ٣٠٠ سنة، خربوا معظم ما بقى من المدينة أثناء بحثهم عن الذهب.

وتواصلت عملية تخريب تياهوانكو عند نهاية القرن التاسع عشر؛ حيث تم استغلال كل كنوزها الفنية والمعمارية؛ كأحجار بناء، عندما بدأ بناء مدينة لاباز، كما استخدمت الأحجار كأرضية لخطوط السكك الحديدية. ومع ذلك، فقد تم تسجيل ما يكفى على يد الدارسين الإسبان، وعن طريق الرحالة فى السنين التالية بما يكفى لأن نأخذ فكرة ما، عن العظمة السابقة للمدينة، وعن البشر الأقوياء الموهوبين الذين شيدوا هذه المدينة.

ووفقًا للوثائق الإسبانية كانت حوائط وأعمدة وعقود قصور تياهوانكو ومعابدها مزينة بالتماثيل والزخارف المصنوعة من الذهب والنحاس والبرونز، ووجوه حائطية (ماسكات)معلقة على مسامير ذهبية ذات رءوس كبيرة. الثقوب التى كانت هذه المسامير تصنعها فى الحائط ما زال بالإمكان مشاهدتها حتى اليوم، كما أن بعض تلك المسامير والأشياء الثمينة الأخرى التى جرى إنقاذها من يد المخربين واللصوص، موجودة حاليًّا فى أحد متاحف لاباز.

القطع الأثرية الموجودة فى المتاحف والمجموعات الخاصة بالأفراد تتضمن تماثيل، يبلغ طول الواحد منها ست أقدام تغطيها رسوم بارزة وأشكال ذهبية يزن الواحد منها ما بين ٤ و ٦ أرطال، كذلك حيوانات وطيور من الذهب وكئوس وأطباق وملاعق ذهبية.



تمثال حجرى أثرى، مما بقى من مدينة تياهوانكو (بوليفيا الآن) التى أقيمت لعبادة فيراكوتشا؛ الإله الأبيض.

هذه الكنوز القليلة التى أمكن الحفاظ عليها، تشهد على عظمة تياهوانكو القديمة.. هذا - بالطبع - بالإضافة إلى الأهرامات ذات الدرج، وغير ذلك من الآثار التى نجدها اليوم فوق المرتفعات، وعند الشواطئ فى بوليفيا وبيرو التى توضح أبعاد تلك الحضارة القديمة.

حيّرت علماء الآثار:

لقد حيرت تياهوانكو علماء الآثار والمؤرخين منذ اكتشافها، ورغم أن معارفنا عن تاريخ وتطور حضارة جنوب ووسط أمريكا قد تضاعفت بشكل هائل فى العقود الأخيرة.. ورغم أن الخبراء قد أصبحوا قادرين على الإجابة عن بعض الأسئلة حول هذه المدينة الملكية، فما زال لغز عمرها، والبشر الذين شيدوها باقيًا لا يجد له حلاً.

معظم الأوربيين وأبناء أمريكا الشمالية، تعوَّدوا على اعتبار الشرق الأوسط هو مهد الحضارة؛ لذلك يجدون صعوبة فى الأخذ بفكرة أن هنود أمريكا يمكنهم تطوير مثل ذلك الإنجاز وهذه الثقافة العالية والمعرفة التكنولوجية.

وكلما ظهرت آثار حضارة متطورة فى القارة الأمريكية، كانت تفسر باعتبارها تأثيرات من الحضارات العالمية القديمة، مثل مصر الفرعونية أو فينيقيا، أو الأيرلنديين الأوائل أو الفايكنج.. غير أن أنصار أتلانتا سرعان ما اعتبروا أن ما جرى اكتشافه فى أمريكا من آثار الحضارات السابقة لوصول كولومبوس هو دليل جديد على حقيقة حضارة أتلانتا.

وقد ساعدهم فى هذا، أن أفلاطون فى حديثه المستفيض عن قارة أتلانتا المفقودة قد أشار إلى قارة ضخمة توجد وراء المحيط الأطلنطي عند الجانب الآخر من شاطئه.. وقال إن تأثير حضارة أتلانتا قد امتد إلى أجزاء من تلك القارة.

ويبقى السؤال: هل أحدث أهل أتلانتا آثارًا فى سكان وسط وجنوب القارة الأمريكية؟

هذا احتمال يجب أن ندخله فى اعتبارنا، عندما نتصدَّى لكشف سر الآثار القديمة، وأطلال المدن والقصور الموجودة فى تلك المناطق: من الذى شيد تلك المدن الرائعة؟ وكيف توصل أهل تلك البلاد– فى ذلك التاريخ– إلى ما تشهده من مهارات تقنية تسمح بتشييد تلك المدن؟

عند الإجابة عن مثل هذه التساؤلات، يجب أن ندخل فى اعتبارنا نظرية اندماج الثقافات، وهى تقوم على الاعتقاد بأنه من غير الممكن أن تنشأ حضارات متفرقة، وتتطور وفق أسس متشابهة، دون أن تكون قد اتصلت ببعضها حيثما رأينا ثقافتين أو أكثر، لهما نفس العقائد، والعادات والأشكال الفنية والمعمارية والتكنولوجيات المتشابهة، يمكننا – وفقًا لتلك النظرية – افتراض أن أهل حضارة ما قد استمدوا معارفهم من حضارات أخرى، أو أنهم جميعًا قد استمدوها من حضارة واحدة أو منبع واحد. وكان هذا هو حجر الزاوية فى النظرية التى طرحها إجناتيوس دونيللى حول أتلانتا.

غير أن العلماء الحرفيين يتحدُّون هذا الفهم.

واليوم، يوجد العديد من الدارسين الذين يعتقدون أن الحضارات قبل الكولومبية فى الأمريكتين قد تمت على أيدى أهل القارة من الهنود الأمريكيين، دون أى اعتماد على أى مؤثر من العالم الخارجى، غير أن المشكلة الوحيدة التى تواجه أصحاب هذا الرأى هى عدم قدرتهم – حتى الآن – على اقتفاء نقطة البداية لحضارة القارة الأمريكية، بشكل أكيد. لكن ذلك لا يثير اندهاش المؤمنين بقارة أتلانتا؛ نتيجة لاقتناعهم بأن حضارة تامة الاكتمال قد صدّرت إلى القارة الأمريكية، وكانت البداية لأى معالم حضارية فى هذه القارة:

الكشف عن الآثار التى تحمل صورًا بذقون ، وأنوف بارزة، والذين يختلف مظهرهم تمامًا عن السكان الهنود الأصليين، بدا لبعض المستكشفين مساندًا أسطورة أتلانتا، ولإثبات أن الحضارة الأمريكية قد تأثرت بثقافة أبناء أتلانتا. أستاذ علم الأجناس النرويجى الشهير تور هايردال كان مقتنعًا بأن «بشرًا أو بمعنى أدق مجموعة من الرجال لون جلودهم فاتح، بأنوف بارزة ولحى كثيفة، مارسوا تأثيرًا ملموسًا على تطور الحضارة الأمريكية وبصفة خاصة تلك التى ازدهرت فى الأنديز وبيرو القديمة».

ويقال إن أسطورة الإله الأبيض التى نشأت بمقدم أبناء أتلانتا هى التى دفعت أهل البلاد إلى الترحيب بالغزاة الإسبان أصحاب اللون الفاتح باعتبارهم من الآلهة! وهكذا انهارت حضارتهم.

ومع ذلك وبرغم الجهود التى بذلت لجعل الحضارة القديمة للقارة الأمريكية تبدو طبيعة ولا تحتاج إلى تفسير أو إلى نسبتها إلى حضارة أخرى كحضارة أتلانتا يبدو أن هناك سرًّا لم يكشف عنه الغطاء حتى يومنا هذا.

من يدرى.. ربما تمدنا أدغال أمريكا الجنوبية بالمزيد من الأطلال، والأهم من الأدلة.. أو ربما عثرنا على أتلانتا المفقودة؛ لتعطينا الإجابة المقنعة .. هذا بالطبع إذا لم تكن الإجابة المنشودة موجودة فى المحيط الأطلنطى بل فى المحيط الباسيفيكى!

أتلانتا .. هل نجدها فى الباسيفيكى؟

عند غروب يوم من أيام الآحاد من عام ١٧٢٢، عثر أسطول هولندى على جزيرة صغيرة فى جنوب المحيط الباسيفيكى.. وأثاروا اختلافًا فى الرأى حول الرءوس الضخمة ما زال باقيًا حتى وقتنا هذا!

وصل أدميرال جاكوب روجيفين ورجاله إلى تلك الجزيرة فى وقت متأخر من اليوم بما لم يسمح لأحد بمحاولة استكشاف الجزيرة. ألقوا مرسى سفينتهم، وانتظروا حتى فجر اليوم التالى؛ كى يقتربوا من الشاطئ ليستكشفوا أى شكل للحياة على أرض تلك الجزيرة.

عند أول ضوء، شاهدوا سلسلة من النيران الصغيرة على الشاطئ. ثم مع ارتفاع الشمس فوق الأفق، وقعت أنظارهم على منظر مثير للدهشة.. على امتداد الشاطئ، اجتمعت مجموعة من البشر، مختلفى الألوان. كان من الواضح أنهم يقومون بطقوس عبادة أمام تمثال هائل.

أطلق الربان روجيفين على الجزيرة اسم «إيستر أيسلاند» وهو الاسم الذى ما زالت تعرف به حتى اليوم. وهى قد نسبت إلى عيد الفصح (إيستر) فهو اليوم الذى شوهدت فيه الجزيرة لأول مرة. بقى الربان ورجاله هناك لبضع ساعات، لكنهم حرصوا على إلقاء نظرات متأنية، من قريب، على مجموعة التماثيل الضخمة. كانت جميع

التماثيل متشابهة؛ رءوس مستطيلة بشكل مبالغ فيه، ذات ارتفاعات متباينة. استطاع روجيفين أن يكسر قطعة من أحد تلك التماثيل معتمدًا فقط على أصابعه، واستنتج أنها مصنوعة من الطين المخلوط بالحصى.. وحقيقة الأمر أنها كانت منحوتة فى الصخر الصلب، لكن وضعها فى ذلك الوقت كان بسبب عوامل التعرية المختلفة.

كيف أمكن لقاطنى هذه الجزيرة الصغيرة أن يحوزوا مثل هذه المهارة التى أنجزت بها تلك التماثيل؟ والأكثر أهمية كيف أمكنهم نقل هذه الرءوس الضخمة، وإقامتها فوق جزيرة محرومة من الأشجار وما يمكن أن تصنع منه الحبال، للقيام بمثل تلك المهمة؟ وفيما بعد، عرف المستكشفون الأوربيون أن أهل جزيرة إيستر، رغم افتخارهم بتلك التماثيل، لا يعرفون شيئًا بالنسبة لإنجازها أو إقامتها.

كذلك، وجد المستكشفون فى الجزيرة، على مدى السنوات التالية، لوحات خشبية محفورًا عليها بعض الرموز، يطلقون عليها (رنجورنجو) التى تعنى بلغتهم (الألواح المغنية)، واكتشفوا أن الرموز التى على الألواح عبارة عن لغة حروفها رسوم (مثل الهيروغليفية). ومع ذلك، لم يكن بإمكان أحد من أهل الجزيرة أن يقرأ بدقة هذه اللوحات..

من أين أتت هذه الكتابات؟ وهل كانت من ابتكار صناع التماثيل؟ وهل هى لغة فعلاً؟

ظلت هذه الأسئلة وغيرها من الأمور المحيرة المتصلة بجزيرة إيستر تشغل عقول الدارسين على مدى ٢٠٠ سنة.





رءوس حجرية عملاقة فى جزيرة إيستر بالمحيط الباسيفيكى.. من الذى نحتها وأقامها؟ سيظل سرًّا مُعلّقًا.

جزيرة إيستر.. وأتلانتا!

تسيطر على جزيرة إيستر ثلاثة براكين، مع أنها لا تزيد فى طولها على ١٣ ميلاً، وفى عرضها على ٧ أميال، وهى تبرز وسط جنوب الباسيفيكى فى عزلة رائعة. أقرب جزيرة مسكونة منها تبعد ١٢٠٠ ميل غربًا وتدعى جزيرة بيتكيرن وهى التى لجأ إليها متمردو السفينة باونتى. وفى الجهة المقابلة، يبعد شاطئ شمال شيلى بمسافة ٢٣٠٠٠ ميل.

ومع هذا، استوطن الناس هذه الأرض المقفرَة، ذات الطبيعة القاسية.. فى غيبة الأنهار الجارية، أو جداول الماء، فى الوقت الذى تمنع فيه الرياح القوية المالحة نمو النباتات الطويلة أو الأشجار.. لم تكن هناك حيوانات على تلك الجزيرة يصطادها المستعمرون الأوائل.. لا ريب أن حياتهم كانت على درجة كبيرة من المشقة.

لكنهم تكاثروا! وتوصلوا إلى شكل من أشكال الكتابة، أو ربما جاءوا به من حيث كانوا.. وشقوا الطرق وأقاموا المعابد ومرصدًا شمسيًّا كما نحتوا ٦٠٠ رأس حجرى عملاقة ذات آذان طويلة!

الكثير من هذه التماثيل أقيم على امتداد شاطئ الجزيرة وبعضها أقيم على السفوح، ويبدو أن باقيها كان يؤشّر لطرق الجزيرة.. أكبر رءوس الشاطئ يبلغ ٣٣ قدمًا فى طوله ويزن حوالى ٨٠ طنًّا.

فى غيبة أى تفسير معقول لمسألة جزيرة إيستر، أباح الدارسون والحالمون لأنفسهم أن يشطحوا بخيالاتهم خلال بحثهم عن التفسير

المقبول.. استقر تفكير الكثيرين على أن الجزيرة إما أنها جانب من القارة الباسيفيكية الغارقة أو أنها ما بقى من جزيرة كبيرة.

ولم يكن هناك مفرٌ؛ نتيجة وجود القارة الأمريكية بين المحيط الأطلنطى والمحيط الباسيفيكى من أن يدور معظم «الأدلة» حول قارة أتلانتا المفقودة التى أثرت على الثقافات الأمريكية القديمة، أو حول حضارة باسيفيكية مفقودة أعارت فنونها ومهاراتها لهنود أمريكا.

وفى عام ١٨٦٤، وقع الدارس الفرنسى آبيه براسور على نسخة من كتاب مختصر عن حضارة المايا، وبالتحديد عن «يوكاتان» يتضمن محاولة لتفسير أبجدية المايا، من واقع الألواح الأثرية التى يقال إنها تحوى الكثير من المعلومات عن تاريخ حضارة المايا البعيد كانت الألواح التى يطلق عليها «ترونو كوديكس» تحمل قصة قارة «مو» الغارقة.

تقول الأسطورة: إن الأميرين الشقيقين المتنافسين على يد أختهما ملكة «مو»، عندما اختارت أحدهما، قُتل على يد الآخر الذى استولى على ملك البلاد.. وتصل تلك الدراما (التى نجد لها أشباهًا كثيرة فى الأساطير القديمة) إلى قمتها عندما بدأت القارة تغطس تحت ماء المحيط.. هربت الملكة إلى مصر حيث بنت أبا الهول تخليدًا للأخ المقتول، وعاشت فى مصر تحت اسم إيزيس؛ لتؤسس الحضارة المصرية القديمة!

لا أدرى لماذا تنسب الحضارة المصرية القديمة إلى مصدر آخر؟ مرة، يقولون إن الفضل فيها يرجع إلى كائنات من الفضاء، هبطت من طبق طائر، ومرة أخرى ينسبون الفضل لهذه الملكة، التى لا أدرى كيف استطاعت أن تعبر المحيط الباسيفيكى وتخوض فى اليابسة لتصل إلى مصر؟!

قارة «مو» تكتسب أنصارًا:

اعتبارًا من ثمانينيات القرن التاسع عشر وما بعد ذلك، اكتسبت فكرة القارة الباسيفيكية المفقودة دعمًا قويًّا وتواترت الاجتهادات والكتب والدراسات.. وأيضًا الأحلام!

البروفيسير ماكميلان براون من نيوزيلندا تصدى لحل ألغاز جزيرة إيستر معتمدًا على معارفه فى الجيولوجيا والآثار، وعلم الإنسان، وقد توصل إلى أنه كان فى جنوب الباسيفيكى، فى الأزمان السابقة، إما قارة، أو أرخبيل، يسكنه الرجل الأبيض، وأن جزيرة إيستر كانت تستخدم كمدفن جماعى لأهل الجزر المجاورة. ويشير الأستاذ براون إلى أوجه الشبه بين تماثيل وعادات الحضارة البولينيزية، وحضارة أهل بيرو معتقدًا أن ثقافة أمريكا الجنوبية قد وصلت إلى تلك القارة من الغرب وقد لاقى جانب من نظريته قبولاً من جانب الخبراء المعاصرين؛ كتفسير جديد للثقافة البولينيزية.

ثم جاء جيمس تشيرشوورد الأنجلو أمريكى الذى لم يعلن عن نتائج دراساته التى قضى فيها عمره العملى إلا عندما أصبح فى

السبعينيات من عمره، لقد ظهر كتابه الأول «قارة مو المفقودة» عام ١٩٢٦، ولاقى رواجًا نتيجة لأسلوبه الممتع، ولقد أصبح اسم تشيرشوورد مقترنًا بقارة مو.

بدأ الكتاب بهذه الكلمات «لم تكن حدائق عدن فى أسيا، بل كانت فى قارة غارقة الآن فى المحيط الباسيفيكى. وقصة الخلق الواردة فى الكتاب المقدس- حكاية الأيام السبعة والليالى السبع – جاءت فى أول الأمر، ليس من أهل وادى النيل أو الفرات، ولكن من تلك القارة الغارقة الآن..».

خلال بحثه وعند محاولته فك رموز اللغة المنقوشة على الألواح التاريخية لشعب المايا الموجودة فى متحف مدريد، اضطر إلى مقارنتها بالكتابات الكلدانية والبابلية والفارسية والمصرية القديمة واليونانية والهندية. ومن واقع دراسته الجادة، يقول تشيرشوورد: «لقد اكتشفت أن هذه القارة المفقودة كانت تمتد من شمال هاواى إلى الجنوب وحتى فيجى وجزيرة إيستر، واستنتجت أن سكان هذه البلاد الجميلة استعمروا العالم وأن أرضها اختفت؛ نتيجة زلزال مخيف فاختفت فى قاع المحيط منذ ١٢ ألف سنة.. وسط دوامة من النار والماء!».

لكن قصة أتلانتا لم تصل إلى نهايتها بهذا الاحتمال: الباسيفيكى.. فهناك من يعتقد أن أتلانتا لم تكن فى الأطلنطى أو الباسيفيكى، بل كانت فى البحر الأبيض المتوسط!

أتلانتا.. هل كانت فى جزيرة كريت؟!

حتى مطلع القرن العشرين، اعتبر معظم المؤرخين أن جزيرة كريت مكان لا يكتسب أى أهمية خاصة.. ومع ذلك، فقد كان لدى الإغريق حكايات وأساطير عديدة تدور حول هذه الجزيرة الجبلية؛ التى تقع عند النهاية الجنوبية لبحر إيجا. لقد نظروا إلى كريت باعتبارها كانت ذات يوم مسكنًا لبحارة أقوياء يحكمهم الملك مينوس؛ ابن زيوس كبير الآلهة، والآدمية الحسناء يوروبا.

تقول الأسطورة إن إنسانًا آليًّا من البرونز، له جسم إنسان ورأس ثور، كان يحرس الشاطئ الصخرى لجزيرة كريت، مرغمًا الغزاة على الابتعاد نتيجة قذفه لهم بالجلاميد، أو الصخور الكبيرة الكروية، وفى كريت أيضًا كانت المتاهة التى سجن فيها الملك مينوس الكائن الأسطورى (الميناتور)؛ الرجل الثور العملاق الذى كان يفترس كل عام من أبناء اليونان القديمة سبعة شبان وسبع شابات، والذى نجح البطل الإغريقى ثيسيوس فى قتله آخر الأمر.

بالنسبة لمعظم المؤرخين، لا تخرج هذه القصص عن كونها أساطير مسلية.. وقد اقتضى الأمر أن ينجز عالم الآثار البريطانى سير آرثر إفانز حفرياته؛ لكى يبرهن على أن الأسطورة قامت على حقيقة!

في عام ١٩٠٠، بدأ إفانز في الكشف عن أبنية متطورة وجميلة ومثيرة للدهشة في جزيرة كريت. فقادت اكتشافاته إلى الاعتقاد بوجود حضارة متطورة للغاية في كريت، قبل ذلك بحوالي ٤٥٠٠ سنة.. أطلق على أهلها اسم «المينونيين» نسبة إلى الملك الأسطوري مينوس.

حكم المينونيون إيجا، بينما كان اليونانيون في طور البربرية.. لم يكونوا تجارًا فقط بل كانوا مستعمرين أيضًا، وكانوا يستمدون المنافع من الشعوب الأقل تطورًا مثل اليونانيين، وكان صيتهم يمتد بعيدًا حتى الأطراف الشمالية والغربية لأوربا، وأيضًا إلى مصر، وجنوب البحر الأبيض المتوسط بالنسبة لقدراتهم البحرية ولثرائهم ونمط حياتهم الفخم الراقي.

كانت عاصمتهم «كنوسوس» تقع على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ الشمالي لكريت.. وفي عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، كان تعداد العاصمة يصل إلى مائة ألف إنسان تقريبًا وكان قصر كنوسوس محل إقامة الملك والملكة، ومركز الحكومة المينونية يشكلان تجمعًا معماريًّا رائعًا يغطي ما مساحته ستة هكتارات، وكانت المخازن الضخمة للقصر تحتوي على احتياجات البلد من الحبوب والنبيذ والزيت.. وبعض الجرار الضخمة كانت تتسع الواحدة منها لما يصل إلى ٧٩ ألف جالون من زيت الزيتون!

ولم يقف الأمر عند جمال تصميم القصور؛ فقد عرف أهل كريت القدماء أنظمة متطورة في حياتهم، بل يدركها البعض في وقتنا هذا.. مثل ما كان في القصر من المراحيض المزودة

برشاشات الماء (سيفونات) والمياه الجارية، ونظام المجارى جيد التخطيط الذى يتكفل أيضًا بمياه الأمطار.

وتفيد الدراسات الأثرية أن حضارة كريت كانت مزدهرة لحوالى ٢٠٠ سنة، لكنها عانت انهيارًا مفاجئًا فيما بين ١٥٠٠ و ١٤٠٠ قبل الميلاد.

أفلاطون .. بين فروست وماريناتوس:

هنا.. نجد لأول مرة دلائل على وجود شعب شبيه بشعب أتلانتا الذى تحدث عنه أفلاطون، وكان أول من طرح ذلك الشبه بطريقة علمية منظمة، ك. ت. فروست، أستاذ التاريخ القديم فى جامعة كوين بمدينة بلفاست.

فى عام ١٩٠٩، كتب فروست فى التايمز اللندنية عن الحاجة إلى إعادة النظر فى تاريخ البحر الأبيض بأكمله؛ نتيجة لكشوفات كريت، وقال إن الوصف الكامل لأتلانتا الوارد فى أقوال أفلاطون يطابق كشوف كريت إلى حد بعيد.

ومع ذكر رواية أفلاطون، يدلى فروست ببعض ملاحظاته قائلاً: «الميناء الكبير، على سبيل المثال؛ بالسفن والتجار الوافدين من كل مكان، بالحمامات الراقية؛ بالاستاد، وبالتضحية بالثور، كل هذا – على وجه التقريب– مطابق لممارسات المينونيين القدماء..».

غير أن كريت ليست هى أتلانتا.. فالجزيرة لا يمكن مقارنتها بالقارة التى تحدث عنها أفلاطون، كما أن كريت لم تختف تحت الماء!

بعد نشر نظرية فروست بثلاثين سنة، قام الأستاذ سبيردون ماريناتوس المدير العام لمصلحة الآثار اليونانية بطرح أدلة جديدة ساهمت فى مساندة آراء فروست.. ففى مقاله «الخراب البركاني فى كريت المينونية» الذى نشر فى المطبوعة الإنجليزية (أنتيكيتى) عام ١٩٣٩، شرح كيف أنه خلال حفرياته فى (أمنيسوس) المرفأ القديم القريب من كنوسوس اكتشف حفرة مملوءة بأحجار من الخفاف البركاني، كما وجد أيضًا الدليل على أن المكان كان قد غمره تدفق من المياه الكاسحة.

لقد اقتنع ماريناتوس بأن سقوط كريت لم يأت نتيجة غزو أجنبى ولكن نتيجة لكارثة طبيعية غاية فى العنف، وهو يطلب الانتباه إلى المصدر الحقيقى للخلط فى الروايات، مشيرًا إلى جزيرة بركانية صغيرة اسمها (تيرا) تبعد عن كريت ٧٥ ميلاً شمالاً.

تلك الجزيرة الصغيرة تعتبر مسئولة عن الكثير من الخلط الذى ورد فى الحديث عن أتلانتا.. بعض الناس يطلقون عليها اليوم اسم (سانتورينى) نسبة إلى القديسة إيرين؛ القديسة الحامية للجزيرة وفى الماضى، كانت تدعى (كاليستى)؛ بمعنى الجزيرة. شديدة الجمال، وأيضًا أطلق عليها (سترونجاللى)؛ بمعنى الجزيرة المستديرة رغم أن الاسمين القديمين يحملان ذكرى ما كانت عليه الجزيرة فى الماضى، فحاضر الجزيرة لا يمت بصلة لمثل هذه الأوصاف.

جزيرة تيرا التى كانت يومًا جزيرة مستديرة قطرها حوالى ١١ ميلاً تغطيها القمم المخروطية، وتكسوها الغابات والنباتات المزدهرة هى الآن عبارة عن ثلاث شظايا من أرضها السابقة.. الأكبر على شكل الهلال، ومن الواضح أن الجزيرة لها تاريخ طويل من التقلبات البركانية، لكن الأدلة الجيولوجية تفيد أن تلك التقلبات التى مزقت قلب الجزيرة الأصلية وشكلت الخليج ربما كانت من أكبر التقلبات التى عرفتها البشرية ويقول العلماء إن الحدث القريب الذى يعطينا فكرة عما جرى للجزيرة، نجده فيما حدث لجزيرة (كاركاتوا) عام ١٨٨٣.

مأساة كاركاتوا!

كاركاتوا، الجزيرة غير المأهولة، والواقعة بين جاوة وسومطرة، شهدت ثورة بركان شبيهة بما حدث لجزيرة تيرا فى شهر مايو من ذلك العام. بدأت ثورة البركان بانفجارات متصاعدة، اهتزت لها الأبواب والنوافذ على بعد مائة ميل. بعد ذلك بيومين شوهد عمود من التراب والبخار صاعد من الجزيرة بارتفاع حوالى سبعة أميال، وتم تسجيل تساقط تلك الأتربة على بعد ٣٠٠ ميل من الجزيرة.

تواصلت هذه الاضطرابات على مدى شهرى يونيو ويوليو.. غير أن الذروة حدثت فى أغسطس حيث شوهدت كرات النار البيضاء تتساقط عند أطراف الجزيرة مع ارتفاع شديد فى الحرارة، وانبعاث رائحة كبريتية كريهة.. من هذه الانفجارات، انتشرت موجات قوية حطمت الحوائط والنوافذ على بعد ١٠٠ ميل،

ثم جاءت موجات المد التى سببت التخريب الأكبر فى المنطقة المحيطة؛ حيث تهدمت ٣٠٠ مدينة وقرية ومات ٣٦٣٨٠ إنسانًا من جراء الأمواج العملاقة شديدة الاندفاع.

ومع ذلك، يقول الدارسون إن انفجارات تيرا كانت أقوى من انفجار كراكاتوا!

في كتابه «نهاية أتلانتا»، أورد الباحث الأستاذ ج. لوتشى وجهة نظره عن العلاقة بين جزيرتى كريت وتيرا قائلاً: «نحن لا نعرف ما حدث لكريت، وجزر وشواطئ بحر إيجا، لكننى أعتقد أنَّ ما حدث فى كريت من خراب وخسائر فى الأرواح لا يقل عما حدث فى كراكاتوا..».

من يدرى.. فقد يأتى اليوم الذى نعثر فيه على المفاتيح التى تكشف لنا سر قارة أتلانتا.. قد يكون الحل بسيطًا وقد يكون مركبًا.. قد يجىء مثيرًا أو عاديًا مخيبًا للآمال.. قد نكتشف أننا اقتربنا كثيرا من الوصول إلى الإجابة أو نجد فى الإجابة الحقيقية مفاجأة كبرى لنا .. على أى حال، فإن الوصول إلى الحل سيحرم العالم من أكثر الألغاز غموضًا.

أتلانتا.. أثارت وألهمت البشر لزمن طويل.. ربما بالنسبة للوقت الراهن يكون علينا أن نكون ممتنين لعدم توصل أحد إلى إجابة السؤال، وأن قارة أفلاطون المفقودة ما زالت بعيدة عن منالنا.

انفجار وادى تانجاسكا..

فى صباح ٣٠ يونيو ١٩٠٨، وقعت كارثة كبرى كان لها أكبر الآثار وأبعدها، لم يصل العلماء إلى تفسير لها حتى الآن بعد مرور ما يقرب من مائة سنة.. لماذا لم ينجحوا فى تعرُّفِ ذلك الشىء الذى اصطدم فى وادى تانجاسكا؛ ذلك الجانب البعيد من شمال سيبيريا؟

فى ذلك الصباح المشئوم، اصطدم جسم بالأرض.. فقضت الحرارة الناتجة عن ذلك الاصطدام على عناصر الحياة فى مساحة أوسع من مدى مدينة كبرى، وأذابت الأجسام المعدنية وأبادت قطعان حيوان الرنة، وجردت الأشجار من أغصانها، واقتلعت الأشجار من جذورها وألقِىَ بها فوق الأرض كأعواد الثقاب!

الرعاة الذين كانوا فى ذلك الوقت على مسافات كبيرة من موقع الاصطدام، طارت أجسامهم فى الهواء، كما انتزعت الريح العاصفة خيامهم.

كان أحد الفلاحين يجلس فى ساحة بيته على بعد ٦٠ كيلومترًا من مكان الاصطدام، فوصف ما حدث قائلاً: «ظهر وميض ضوء قوى، وقد ارتفعت حرارة الجو بشدة وبسرعة، حيث إننى لم أعد قادرًا على البقاء فى مكانى؛ فقد كان قميصى يحترق فوق ظهرى.. شاهدت كرة نار هائلة تغطى مساحة واسعة من السماء.. غير أن الأمر لم يستمر أكثر من لحظة خاطفة، ثم أظلمت السماء، وأحسست فى نفس الوقت بانفجار هائل، ألقى بى

على بعد عدة أقدام من الساحة.. فقدت وعيى لبضع دقائق.. وعندما عدت إلى الوعى سمعت ضجيجًا هائلاً يهز البيت هزًّا عنيفًا، حتى كاد يقتلعه من أساسه!».

هذا ما جرى فى منطقة الاصطدام، أما فى الأماكن البعيدة، فقد تعددت الملاحظات:

فى لندن، استطاع الناس قراءة الكلمات المصفوفة بالحروف الصغيرة فى جريدة التايمز عند منتصف الليل، دون الاعتماد على إضاءة ما..

وفى أستكهولم التقط الناس العديد من الصور الواضحة فى ظلام الليل، وظهرت بعد ذلك كأنها قد التقطت فى ضوء شمس ساطعة.. وفى هولندا، استحال على الفلكيين القيام بأعمال الرصد الفلكى؛ نتيجة لشدة استضاءة السماء.. وحتى فى أمريكا، شعر الناس بالذبذبات الناتجة عن الاصطدام العجيب..

واليوم، بعد قرن من الزمان، ما زالت النظريات المتضاربة تحاول تفسير تلك الظاهرة الفريدة، دون أن يتفق العلماء على شىء.. هل كان نيزكًا أم نَجمًا مذنّبًا؟ أم كان ثقبًا أسود؟ أم كان انفجارًا نوويًّا حدث فى مركبة فضاء قادمة من كوكب آخر؟!

لم يكتب لهذه الظاهرة أن تخضع لأى دراسة علمية منظمة، إلا بعد نشوب الثورة الروسية، وقيام الحكومة البلشفية، وإزاحة الأدميرال كولتشاك، وقوات روسيا البيضاء التى كانت تسيطر على سيبيريا.

فـى عـام ١٩٢١، عنـدمـا تسلـم لـينـين السـلـطـة، وصمم علـى أن تصبح للاتحاد السوفيتى الوليد مكانته العلمية فى العالم، كلفت الأكاديمية السوفيتية للعلوم العالم المرموق ليونيد كوليك بجمع المعلومات عن النيازك التى تسقط على أراضى الاتحاد السوفيتى.

وحدث أن وقعت فى يد كوليك قصاصة صحفية تصف الحدث الذى جرى فى يونيو ١٩٠٨ ، وتقول إن نيزكًا ضخمًا سقط عند تحويلة فليمونوفو، وسط خط السكك الحديدية السيبيرية.. كانت تلك القصاصة بداية لجهد متصل من جانب العالم كوليك، استمر لما يقرب من عشرين عامًا، إلى أن قتل فى الحرب العالمية الثانية على يد النازى.. وحتى عند ذلك الوقت لم يكن قد توصل إلى نتيجة واضحة حول سر ذلك الانفجار الهائل.

بدأ كوليك بجمع أقوال شهود العيان، ومراجعة تقارير علماء الأرصاد الجوية، لقد جاء بالجرائد المحلية فى أركوتسك، وتومسك، وكراسنويارسك الكثير عن أخبار الواقعة.. وتحت عنوان (أغرب الظواهر الطبيعية) جاء فى جريدة سيبير التى تصدر فى أركوتسك ما يلى:

«فى قرية نيزين- كارلنسك التى تقع فى الشمال الغربى، شاهد الفلاحون، عاليًا عند الأفق، جسمًا أشد لمعانًا من أن يحتمله البصر.. كان الضوء أبيض يميل إلى الزرقة، وكان الجسم يتحرك رأسيًّا إلى أسفل لمدة عشر دقائق، وكان على شكل ماسورة (أسطوانية الشكل).. كانت السماء بلا سحب، فيما عدا سحابة سوداء صغيرة منخفضة عند الأفق، فى الاتجاه الذى

يندفع إليه الجسم. كان الطقس ساخنًا وجافًا، وعندما اقترب الجسم من الأرض بدا كأنه انسحق، وظهرت عند موقع انسحاقه سحابة هائلة من الدخان الأسود.. لقد سمع صوت الارتطام العنيف الذى لم يكن يشبه صوت الرعد، بل أقرب إلى سقوط أحجار ضخمة، أو طلقة مدفع.. اهتزت كل البنايات. وفى نفس الوقت، اندفعت ألسنة متشعبة من اللهب وسط السحابة.. بكت النساء العجائز، وقد ظن الجميع أن نهاية العالم قد حلت..».

صوت الارتطام على بعد ٨٠٠ كيلومتر:

وقد اكتشف كوليك أن قرية نيزين- كارلنسك هذه تبعد ٣٢٠ كيلومترًا عن مكان الانفجار، وقد جمع أحد علماء الأرصاد الجوية المحليين، ويدعى فيزينسينكى، التقارير المختلفة التى كتبت عن هذه الظاهرة، فى محاولة لتحديد نقطة الاصطدام والشيء الذى يصعب تصديقه هو أن صوت الارتطام سمع على بعد ٨٠٠ كيلومتر من مركزه.. وأنه على هذا البعد سجلت أجهزة رصد الهزات الأرضية فى أركوتسك ما يصل فى قوته إلى زلزال.

حرص كوليك على أن يجمع روايات شهود العيان، فتكرر فى أقوالهم: انفجار «جسم سماوى من لهب» و«لهيبه شق السماء إلى نصفين»، و«أعمدة شاهقة من الدخان» قال إليابوتابوفتش، أحد شهود العيان فى ذلك اليوم: حدث انفجار فظيع، كانت قوته كبيرة جدًا؛ إلى حد أطاح بأشجار الغابات، وألقاها على الأرض لمسافات كبيرة على امتداد نهر (تشامبى).. تهاوى بيت أخى، وطار سقفه بعيدًا.

كما هربت حيوانات الرنة مذعورة، وتسبب صوت الانفجار المدوىّ فى إصابة أخى بالصمم، كما تسببت الصدمة فى إصابته بمرض عاناه طويلاً..».

أما فاسيلى أوكتشين، فقد حكى كيف كان نائمًا، هو وأفراد عائلته، عندما طارت الخيمة بأفراد العائلة، بعيدًا فى الهواء قال: «أصيب جميع أفراد العائلة بجروح، وقد فقد البعض وعيه.. كانت الأرض تهتز، وسمعنا صوتًا مدويًا لرعد عجيب، وكان كل شىء حولنا غارقًا فى الدخان الناتج عن حريق الأشجار.. وعندما خفت هدير الرعد بقيت الحرائق مشتعلة فى الغابة..».

لقد اكتشف كوليك أن ذلك الارتطام الذى كان من الممكن أن يقضى على ملايين البشر لو أنه وقع وسط مدينة من المدن، أو فى مكان آهل بالسكان، لم يتسبب فى حالة وفاة واحدة! لم يمت سوى العديد من الكلاب وحيوانات الرنة. ويضيف كوليك: «لو أن ذلك الارتطام كان قد حدث فى محيط من المحيطات لتسبب فى إثارة جبال من الأمواج، كالتى أثارها انفجار كراكاتوا عام ١٨٨٣، وأغرق مساحات واسعة، وقضى على ٣٦ ألف شخص..».

التقارير التى تجمعت لدى كوليك، لم تفده فى معرفة المكان المحدد للانفجار؛ لهذا بدأ رحلته الطويلة عام ١٩٢٧ التى دعمتها أكاديمية العلوم من لينجراد، على أمل أن يتوصل إلى معرفة موقع الارتطام، بعد مرور ١٩ سنة على حدوثه.

تواصلت رحلات كوليك لأكثر من عشر سنوات، وبعد سلسلة من المغامرات المثيرة، أمكنه آخر الأمر أن يحدد موقع الانفجار.

فى مجاهل سيبيريا:

فى مارس ١٩٢٧ غادر كوليك السكك الحديدية السيبيرية عند مدينة (تايشيت) واعتمد على الخيل وزحّافات الجليد فى الوصول إلى قرية (ديفورتس) على نهر إنجارا، وبعد أسبوعين وصل إلى مدينة (فانفارا) آخر محطة له قبل أن يخوض فى غابات سيبيريا التى لم تكن خرائطها قد رسمت بعد، والتى يطلق عليها الروس (تايجا)

كانت مجاهل تايجا الواسعة المظلمة تبدو فى عشرينيات القرن العشرين باعثة على الخوف.. وحتى الآن، بعد أن أقام الروس مدنًا كاملة جديدة وسط الغابات، مثل (براتسك)، فإن مجاهل (تايجا) تبدو وكأنها لم تمس. اكتشف كوليك أنه لا يستطيع الاعتماد على الخيل فى خوض الجليد الكثيف، فاشترى بعض غزلان الرنّة، وحمّل عليها إمداداته كما ضم إلى قافلته إليا بوتابوفيتش، الذى أشرنا إلى روايته عن إصابة أخيه بتأثير الانفجار.

بعد يومين من بداية الرحلة، أصبح عليهم أن يشقوا لأنفسهم طريقًا وسط الغابات باستخدام الفئوس أخيرًا وفى منتصف إبريل وصل الركب إلى نهر (ميكيرتا) وكانت هذه لحظة اهتزت لها مشاعر كوليك، فقد وقف على الشاطئ الجنوبى للنهر، وتطلع شمالا، ليرى أول آثار ملموسة للكارثة التى شغلت باله طوال السنوات الست السابقة.

على الشاطئ الشمالى، رأى عددًا محدودًا من التلال الصغيرة، أو الروابى، التى تبرز وسط امتداد الأرض كان

الإطار الذى يرسم جسم تلك التلال على صفحة السماء خاليًا من أى أشجار. وعندما اقترب كوليك من التلال، رأى الجذوع الضخمة لأشجار الصنوبر ملقاة على الأرض.. كانت متراصة مثل فصيلة من الجند، بحيث يشير أعلى جميعها إلى الجنوب الشرقى.. فعرف أنه يشهد المعالم الخارجية لأطراف منطقة الخراب، التى يسعى إليها

عندما وصل إلى أعلى قمة من قمم تلك الروابى، زاد عجبه عندما رأى على امتداد بصره، مسافة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ كيلومترا مربعًا من الأرض الجرداء، وقد تراصت أشجار (التايجا) الضخمة فوق الأرض.. أشجار صنوبر، وتنوب، وباقى الأشجار النفضية، متراصة على الأرض بنفس النظام، من هذا استنتج كوليك أن مركز الانفجار لابد أن يكون بعيدًا.

حاول كوليك أن يواصل تقدمه، لكن مرافقوه رفضوا مواصلة الرحلة، فاضطر إلى العودة، على أمل تجهيز بعثة جديدة.

وفى يونيو من نفس العام، بدأ رحلته الثانية مستخدمًا القوارب الشبيهة بالأطواف ينقل عليها مهماته على طول النهر، بعد أن ذابت ثلوجه تقدم فى اتجاه الشمال الغربى، مستهديًا باتجاه الأشجار الساقطة، حتى وصل إلى نقطة أيقن أنها المكان الذى اصطدم فيه النيزك بالأرض.

كان كوليك حتى ذلك الوقت يؤمن بأن الظاهرة ترجع إلى اصطدام نيزك بالأرض، بل لقد حدد بعض الأماكن التى تصور أن

شظايا النيزك ارتطمت بها لتصنع الفوهات التى تحدث فى مثل تلك الأحوال، عن هذا كتب يقول: «كانت المنطقة تتناثر فيها عشرات الحفر مستوية القاع والتى تتباين أقطارها بين عدة أمتار، وعشرات الأمتار، ويبلغ عمق الحفرة عدة أمتار.. كانت حواف الحفرة عمودية غير متدرجة، وقاعها المسطح تكسوه الطحالب..»

ونظرًا لنفاد المؤن اضطر كوليك إلى التوقف عن إجراء المزيد من الأبحاث، وأنهى تلك الرحلة فى طريق العودة، بدأ كوليك يفكر فى تنظيم حملة جديدة للبحث عن جسم النيزك، الذى تصوره بالضرورة هائل الحجم.. كذلك البحث عن شظايا النيزك التى لابد أن تكون موجودة فى تلك الحفر.

ولو أن كوليك كان من أبناء سيبيريا لكان قد عرف أن مثل هذه الحفر تعتبر ظاهرة طبيعية شائعة فى أنحاء (تاريجا).. فالثلوج أثناء الشتاء تندفع باحثة عن طريق وسط فحم المستنقعات.. وفى الصيف عندما تذوب هذه الثلوج ، تخلف وراءها تلك الحفر.

الفضل للمسح الجوى:

عاد كوليك إلى لينينجراد يحمل أخباره المثيرة عن حجم الانفجار الهائل الذى حدث فى مجاهل سيبيريا فلم يجد صعوبة فى إقناع أكاديمية العلوم بتمويل بعثة علمية جديدة.. فى هذه المرة اصطحب المصور الفوتوغرافى ستروكوف، الذى استطاع أن يسجل بنجاح مراحل عمل البعثة الجديدة، بكل ما حفّها من المخاطر.. وكانت تلك المخاطر، بالإضافة إلى الأمراض التى أصيب بها أعضاء البعثة سببًا فى سرعة إنهاء عملها.

نظم كوليك رحلته الثالثة بعد عام من الرحلة الثانية ولم يزد ما حصل عليه عن الذى حصل عليه من الرحلة الأولى، لقد فشل كوليك فى العثور على أثر واحد يؤكد نظريته، والتى ترجع الظاهرة إلى ارتطام نيزك بالأرض

فى هذه الرحلة، التقط كرينوف، نائب كوليك، صورة لأصل جذع شجرة عثر عليه فى قاع حفرة، مما يؤكد أن الحفرة لم تصنعها شظية من شظايا النيزك لكن كرينوف أخفى الصورة عن كوليك، حتى لا يصدمه فى نظريته!

المسح الجوى الذى جرى للمنطقة بعد ذلك، والاختبارات الدقيقة للأشجار؛ طريقة سقوطها، وآثار الحروق التى بها - أتاحت للعلماء أن يخرجوا بنتائج أكثر دقة، لما جرى فى ذلك اليوم من يونيو.

قال العلماء: إن جسمًا طائرًا دخل مجال الأرض الجوى وأصبح مرئيًّا، فى مكان ما بالقرب من بحيرة بايكال، ثم اندفع من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى قبل أن يرتطم بالأرض. وهناك من العلماء من يعتقد باحتمال أن يكون ذلك الجسم غَيَّر مساره بعد دخوله المجال الجوى للأرض.. يعتمد هذا الاحتمال على روايات شهود العيان، والتى كانت قد بلغت فى ذلك الوقت ٧٠٠ شهادة.

هذا الاحتمال يتخذه البعض أساسًا للقول بأن ذلك الشىء كان سفينة فضاء، قادمة من كوكب آخر..

فلا يمكن لغير السفينة التى تتحكم الكائنات الحية فى حركتها أن تغيِّر مسارها بعد دخولها مجال الأرض، ورغم أن

أحدًا من الشهود لم يقل برؤيته للجسم وهو يغير اتجاهه، فقد أتت الفكرة من تناقض الشهادات حول مسار الجسم اللامع الضخم فوق سيبيريا.

بعد المسح الجوى لم يعد هناك شك فى الاتساع الخرافى للمنطقة التى تعرضت للتخريب (أكثر من ٢٠٠٠ ميل مربع) ومع ذلك ففى وسط ذلك الخراب الشامل ومركزه كانت هناك ظاهرة غاية فى الغرابة.. وسط دائرة الخراب الواسعة بقى عدد كبير من الأشجار فى مكانه وإن كانت أغصانها منزوعة.

ورغم كل جهود المسح الجوى والحفر الدءوب لم تظهر علامة واحدة توحى بأن شيئًا ما قد ارتطم بالأرض فِعْلاً. الثابت أن الظاهرة قد تمت من خلال موجتين من موجات التدمير على الأقل.. الانفجار ثم الموجة القذائفية ورغم اندلاع الحريق على نطاق واسع، إلا أن عمر تلك الحرائق كان قصيرًا والأعجب من هذا ما جرى من نمو متسارع للأشجار فى أعقاب الواقعة، لقد كان نموها متسارعًا إلى حد لافت غير مسبوق إذا ما قارناه بنمو الأشجار الشبيهة، فى أنحاء أخرى من سيبيريا، لقد بدا اللغز أكثر تعقيدًا من أى وقت آخر!

القياس على قنبلة هيروشيما!

توقف البحث فى هذه الظاهرة تمامًا، عندما دخل الاتحاد السوفيتى الحرب مع ألمانيا النازية، ورغم أن كوليك كان قد بلغ الخمسين من عمره فى ذلك الحين إلا أنه تطوَّع مشاركًا فى الحرب فجرح، ووقع فى الأسر، ثم مات.. هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين ممن شاركوه فى أبحاثه حول هذه الظاهرة قُتلوا فى الحرب.

انتهت الحرب فى أوربا ثم حلت اللحظة المأساوية فى الطرف الآخر من العالم.. اللحظة التى غيرت أشياء عديدة فى حياتنا. ومن بين ذلك النظرة إلى لغز تانجاسكا، لقد أسقطت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتها الذرية فوق هيروشيما!..

مر عامان على انتهاء الحرب وانصرف العلماء إلى جهود السلام.. لاحظ العديد من الباحثين أوجه الشبه غير العادية بين نمط التخريب فى هيروشيما وبين الآثار التى خلفها انفجار سيبيريا!

فى هيروشيما لاحظ المراقبون الأمريكيون أول ما لاحظوا، أن مركز الانفجار كان نصيبه من الدمار أقل نسبيًّا وهو نفس ما لاحظه العلماء فى تانجاسكا فقد بقيت الأشجار منتصبة عند مركز الانفجار، أيضًا ظهر فى هيروشيما أن النبات صار ينمو بسرعة فى أعقاب التفجير الذرى وهو نفس ما لاحظه العلماء فى منطقة التدمير بسيبيريا.

فى الحالتين تكررت ظاهرة يطلق عليها «التظليل»، حيث يحظى الناس والأشياء قرب مركز الانفجار بحماية خاصة، ومن المهم أيضا ما اكتشفه الباحثون وفقًا لأقوال شهود العيان، حول شكل الانفجار وآثاره المباشرة من شَبَهٍ شديد بما حدث فى هيروشيما وما تبع إلقاء القنبلة من سحابة على شكل عش الغراب، ويميل الروس إلى الاعتقاد بأن سحابة تانجاسكا لابد أنها كانت أعلى بكثير من سحابة هيروشيما باعتبار أن الناس شاهدوها على أبعاد كبيرة.. مما يوحى بأن انفجار تانجاسكا بلغ ألف ضعف انفجار قنبلة هيروشيما.



تانجاسكا بعد الانفجار العظيم عام ١٩٠٨



هيروشيما اليابانية بعد القنبلة الذرية عام ١٩٤٥

كان الشبه بين انفجار تانجاسكا وقنبلة هيروشيما أكبر من أن يهمل ومع ذلك كان مما لا يقبل التصديق القول بحدوث تفجير ذرى في سيبيريا قبل ٤٠ سنة من توصل علماء الولايات المتحدة الأمريكية إلى إحداث أول تفجير ذرى في (الأماجورو) لكن ما أن سيطرت الفكرة على الأذهان حتى قفز إلى السطح دليل جديد..

هل كانت الآثار الجلدية التى على جلود غزلان الرنة فى سيبيريا نتيجة لحروق إشعاعية، مثل التى أصيبت بها قطعان الماشية فى نيو مكسيكو نتيجة للغبار الذرى الذى تساقط عليها بعد تجربة التفجير الذرى الأول؟ هل يمكن أن نكتشف فى حلقات مقطع جذور الأشجار الباقية فى المنطقة أى أثر لإشعاع تال لعام ١٩٠٨؟ العالم الأمريكى «ليبى» يميل إلى الإجابة بنعم على هذا السؤال.

أنواع جديدة من النحل والحشرات!

مع تراكم الشواهد التى تجمعت بفضل البعثات العلمية منذ عام ١٩٥٨، وحتى الآن، سادت نظرية الانفجار الذرى والحرارة النووية فى تفسير ما حدث فى تانجاسكا.

دكتور فاسيليف، الأستاذ بجامعة تومسك، والذى قاد البحث فى لغز تانجاسكا، يميل إلى التعاطف مع هذه النظرية ويقول للتدليل عليها:

«لقد حدثت تغيرات وراثية غاية فى العنف ليس فقط فى النبات، ولكن فى مملكة الحشرات الصغيرة أيضا لقد ظهرت

أنواع من النحل والحشرات الأخرى لا يوجد لها شبيه فى أى مكان من العالم، بعض الأشجار والنباتات توقفت عن النمو والبعض الآخر نما بمعدلات متضاعفة تبلغ فى بعض الأحيان مئات أضعاف معدل نموها قبل عام ١٩٠٨ ..»

ومع ذلك يؤكد د. فاسيلييف عدم الوصول إلى شواهد تدل على آثار إشعاعية غير عادية، وفى عام ١٩٦٠ صرح قائلا «إن ما نشاهده هناك يكشف عن فوضى كهرومغناطيسية شاملة، وبصفة خاصة عند مركز الحدث، لابد أن هذه المنطقة قد تعرضت لإعصار كهرومغناطيسى هائل القوة، قاد إلى تحطيم كامل، وربما يكون دائما، لكل نسق عادى يتصل بالمجال الجاذبى للأرض..»».

كما ظهر وجه شبه جديد، بين ما حدث وما يحدث فى التفجير النووى، فعندما قام علماء روسيا وأمريكا وبريطانيا بدراسة آثار القنبلة الهيدروجينية فى خمسينيات القرن الماضى لاحظوا أن التفجير النووى فى مكان ما يخلق فى الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، نوعا من الشفق المضىء، يصاحبه قدر من التشويش فى الغلاف الجوى المتأين للأرض، الذى يعكس موجات الراديو. عند الرجوع إلى التقارير العلمية القديمة ثبت أن المستكشف البريطانى «أرنست شاكلتون» كان فى ذلك الوقت من عام ١٩٠٨ عند قارة القطب الجنوبى فى الجانب المقابل لتانجاسكا من الكرة الأرضية، كان شاكلتون يعسكر بالقرب من بركان مونت إيرباس وسجل فريقه حدوث شفق لامع لا يمكن تفسيره قبل وبعد انفجار تانجاسكا.

ومن أهم ما قال به العلماء نتيجة لتلك البحوث، هو أن ذلك الشىء الذى هبط على تانجاسكا - أيًّا كانت طبيعته- لم يرتطم بالأرض، ولكنه انفجر فى الهواء قريبا من الأرض، بل لقد استفاد العلماء من خبرة التفجيرات الذرية والنووية وقدروا أن انفجار تانجاسكا حدث على ارتفاع ٨ كيلومترات.

لكن بقى سؤال أساسى بلا إجابة: ما الذى أحدث ذلك الانفجار النووى قبل أن يتوصل الإنسان إلى أسرار التفجير الذرى؟

البعثات العلمية التى عملت هناك بعد الحرب العالمية الثانية عثرت فى الموقع على عدة أشياء لها دلالتها.. كرات صغيرة جدًّا من حجر المغنيط (خام الحديد الممغنط) وكرات من السيليكات، مدفونة فى التراب، ومغروسة فى سيقان الأشجار ورأى العلماء أن هذه الكرات الدقيقة قد جاءت من الفضاء الخارجى.. حجر المغنيط يحتوى من النيكل أكثر مما هو معتاد على الأرض.. والسيليكات بها فقاقيع من الغاز شبيهة بتلك المعروفة، عند التحليل الطيفى للأشياء القادمة من الفضاء.

ثقب أسود صغير!

كل هذه التفسيرات لم تنجح فى منع العلماء من إعلان نظريات جديدة فى تفسير تلك الظاهرة.

من بينهم أصحاب نظرية «سفينة الفضاء».. هم مجموعة من كبار العلماء، أمثال العالم الأكاديمى «زولوتوف» وهم يعتقدون أن هذه الكرات الصغيرة هى من بقايا السفينة الفضائية التى تبخرت

قرب الأرض.. وهم يتقدمون بمجموعة من الشواهد التى تسند نظرياتهم: شهود العيان وصفوا الجسم الهابط بما يشبه الأسطوانة أو العمود، وأنه فى لحظة ما غير اتجاهه. وهم أيضا يستندون إلى أن الشكل الخاص لرقعة الخراب، كما أمكن رصده أخيرا من الجو يشبه نسرًا يبسط جناحيه، ولو أن ذلك الشىء كان كرويًّا لكان أثره على الأرض دائريًّا.. وعن سر اقتراب السفينة من الأرض فى هذه البقعة بالذات، فيقولون إنها كانت تحتاج إلى الماء كوقود لها، وأنها كانت فى طريقها إلى بحيرة (بايكال) أكبر تجمع للماء الحلو فى العالم.

وهناك نظريات أخرى، يتبناها علماء كبار مثل «جاكسون»، و«ريان»، اللذين يعملان فى مركز النظرية النسبية فى جامعة تكساس.. لقد أعلنا سنة ١٩٧٣ أن ذلك الشىء كان نوعًا صغيرًا جدا من الثقوب السوداء، والثقوب السوداء ظاهرة فلكية لم تكن معروفة، وأثار اكتشافها جدلاً كبيرًا ويقول العلماء فى وصفها إنها كيان فى الفضاء يتمتع بجاذبية قوية جدًّا بدرجة يصعب تصورها وأنها تبتلع أى شىء يقترب منها وهى قد اكتسبت صفة السواد لأنها من فرط جاذبيتها تبتلع أشعة الضوء من حولها، فتحيل كل شىء إلى سواد!

يقول العالمان الأمريكيان إن ثقبهما الأسود الصغير، مر مخترقًا الكرة الأرضية ليخرج من الجهة المقابلة فى مكان ما من المحيط الأطلنطى، بين أيسلاند ونيوفاوندلند.. هذا رغم أن صحف ذلك الوقت الأمريكية لم تشر إلى حدوث شىء غير طبيعى فى الرقعة التى أشارا إليها.

ثم يأتي بعد ذلك دور العلماء الذين تسحرهم نظرية المادة المضادة.. والتي تفني جزئيات المادة إذا لامستها وقد قام هؤلاء بقياسات معقدة حول الإشعاع المفترض تولده عند التقاء المادة في تانجاسكا، لكنهم لم يصلوا – حتى الآن – إلى حقيقة ثابتة أكيدة!

اللغز يبقى على حاله:

وتبقى بعد ذلك نظرية العالم الإنجليزي ف. وبيل الذي يقول إن ما حدث في سيبيريا عام ١٩٠٨ ، هو اصطدام أحد المذنبات بالأرض لأول مرة في التاريخ المعروف للأرض.

وأيضا آمن بنظرية المذنب العالمان البريطانيان «جون براون» من جامعة جلاسجو، و«دافيدز هيوجن» من جامعة شيفيلد، وبذلا جهدًا شاقًا في الدفاع عن النظرية في وجه المعارضين الذين ركزوا معارضتهم في سؤالين محددين:

إذا كان مذنبًا، فكيف لم يشاهده علماء الفلك في العالم، قبل ارتطامه؟

ثم كيف يكون لارتطام المذنب بالأرض شكل الانفجار النووي؟

بالنسبة للسؤال الأول، يقول آرثر كلارك الكاتب والمفكر الكبير، إنه من الجائز أن يكون ذلك المذنب قد اقترب من الأرض صباحا، في جانب شروق الشمس على الأرض، فاستحالت رؤيته نتيجة لتوهج الشمس وهو يشير إلى سابقة معروفة في ذلك المجال وهي حالة المذنب (مركوس) الذي لم يلاحظه أحد إلا بعد أن دار حول الشمس، ومر متجاوزًا الأرض، وهو يبتعد عنها.

وبالنسبة للسؤال الثانى، المتصل بشكل الانفجار النووى يقول العالمان البريطانيان إن مظهر الانفجار النووى يحدث بشكل طبيعى متكرر، وهو ما نلمسه فى ألسنة الوهج الشمسى ومن المعروف أن المذنب ينفجر إذا اصطدم بكتلة من الهواء متساوية فى حجمها مع حجمه، وأن ذلك الانفجار يشبه فى طبيعته الوهج الشمسى وينتج عنه نشاط إشعاعى ملموس والليالى المضيئة التى وصفها شهود العيان فى أنحاء من العالم قد تكون عائدة إلى سحب المواد المشعة.

مع كل هذه النظريات والجهود العلمية الشاقة التى بذلها العلماء من مختلف الجنسيات ومع كل التفسيرات التى تتابعت منذ اكتشاف الظاهرة.. لا يزال ما حدث فى تانجاسكا عام ١٩٠٨ مصدرًا لحيرة العلماء.. وستبقى حقيقة ذلك الانفجار الهائل لغزًا يحير العلماء.

أحجار ساليزبرى الهائلة

لأسباب لم نتوصل إليها بعد، حرص البشر القدماء فى كل مكان، بدافع لا يقاوم، على أن يخططوا أماكن عبادتهم بطرق هندسية مركبة.. وحتى الآن، تبدو خرائب وأطلال الآثار القديمة، وقد تضمنت ما يوحى بأن بُنَاتها قد حققوا معرفة بالكون، تتسم بعمق لم تصل إليه حضارتنا بعد واعتمدوا على طرق ووسائل لا يمكن أن نفهمها اليوم.. الآثار التى تشهد على هذا تمتد من غرب أوربا إلى مصر والشرق الأدنى، ومن بعدها القارة الأمريكية.

مما يحير الدارس ما يكتشفه من أوجه شبه قوية وكامنة، بين الإنشاءات المعمارية التى تفصل بينها المسافات الكبيرة.. والأحجار المنتصبة العملاقة، ودوائر الحلقات الحجرية الغامضة، التى نجدها بكثرة فى شمال غرب أوربا، تبدو للوهلة الأولى غير ذات صلة بالتخطيطات الغريبة والمركبة التى فى صحراء نازكا فى «بيرو» ومع ذلك فقد كشفت الدراسات الدقيقة أنهما يعتبران نموذجين لأسلوب محدد فى تخطيط ومسح الأراضى.. وأن وراء كل من الظاهرتين تصميمًا لا يمكن فهمه على رسم الخطوط الطويلة المستقيمة على الأرض، ودليلاً على عشق الهندسة والفلك القوى الذى أبداه بناة الأحجار العملاقة شمال غرب أوربا.. كما يتجلى فى الطريقة المحكمة التى شيد بها مهندسو مصر القديمة هرمهم الأكبر، لكى يصلح كمرصد ومعمل تجريبى مركزى للعمليات الحسابية المعقدة.



قدماء البريطانيين يرقصون حول الأحجار الهائلة؛ ليستمدوا القوة من طاقتها

الصورة الشائعة للإنسان الأول، التى تصوره همجيًا فظًا قليل الذكاء، نسختها طريقة التأريخ باستخدام اختبارات الكربون، التى تحدد عمر أى أثر أو حجر.. لقد ثبت أن الإنسان الأول كان قادرًا على تحقيق إنجازات عقلانية مدهشة.. وهذا تثبته أعجوبة الأحجار الهائلة الحجم، ذات التكوينات الهندسية المركبة، والتى تنتشر على الساحل الأطلنطى من إنجلترا وأوربا.

فى سهول ساليزبرى، وقبل ساعة كاملة من طلوع الشمس، فى ذلك اليوم الذى ينتصف فيه الصيف، تظهر بشكل واضح على خلفية السماء التى يضيئها أول شعاع للشمس تلك الأحجار العملاقة والمدفن المحيط بها.. والتى ترجع إلى ما قبل التاريخ!

عقيدة الماء والنار:

بين ظلال هذه الأحجار، يتحرك الدروديون المعاصرون بأرديتهم وأغطية رءوسهم البيضاء لقد بدأت طقوس عقيدة الماء والنار السنوية التى يحتفلون فيها بأطول نهار فى السنة.

داخل الدائرة نفسها، تقف قلة من المحظوظين الذين استطاعوا الحصول على تصريحات رسمية، من رجال الصحافة والمصورين، وبعض أبناء الريف القريب من أميسبرى وفى الخارج خلف أسوار الأسلاك الشائكة يقف جمع صغير.

المشهد الذى جاء هؤلاء جميعًا لمشاهدته، يبدأ بعد الخامسة فجرًا بعدة دقائق، عندما ترسل الشمس أول أشعتها فوق الأفق..

إنها بداية الاحتفال الذى وضع دقائق تفاصيله أولئك الذين شيدوا هذه الأحجار العملاقة، منذ أربعة آلاف سنة. فى هذا الوقت فقط من يوم انتصاف الصيف يمكن للواقف فى مركز الدائرة الحجرية أن يرى أول إشعاع للشمس، يشرق مارًّا بحافة الحجر الذى يبعد عن الدائرة بمقدار ٣٧ مترًا، والذي يطلق عليه اسم «حجر الكعب».

عندما تشرق أشعة الشمس الأولى، تصل احتفالات الدروديون إلى ذروتها، فتتعالى صيحاتهم «أشرقى أيتها الشمس وبددى ظلمة الليل بأشعة ضوئك المجيد» نفس طقوس الدروديين القدماء لكن يبقى سر الأحجار الهائلة غامضًا.. لسبب بسيط فهذه الأحجار قد شيدت قبل ظهور الديانة الدرودية بإنجلترا.

وليس هناك أدنى شك فى وجود الدروديين فى بريطانيا قبل الغزو الرومانى.. فقد وصفهم يوليوس قيصر باعتبارهم رجالاً على علم عظيم «يعرفون حركات النجوم، ويستطيعون تقدير حجم الكون، والكرة الأرضية» إلا أن بعض أنشطتهم كانت أقل تحضرًا.. من أمثلة ذلك، الطقوس التى كانت تتضمن تضحيات بشرية. لقد كانوا يستخدمون لذلك هيكلاً آدميًّا عملاقًا، أطراف هذا الهيكل وجزءه عبارة عن شبكة من نسيج الأغصان يجرى وضع البشر الأحياء داخله، ثم يشعلون فيه النار.. فيموت البشر وسط ألسنة اللهب.

على أى حال، لم يستطع علماء التاريخ والآثار أن يعثروا على دليل قوى يربط بين أتباع الديانة الدرودية وحلقات الحجارة الهائلة.



دائرة من دوائر الأحجار الهائلة فى (ليك ديستريكت) بإنجلترا

لقد قرأ الدروديون الجدد ما قاله يوليوس قيصر عن القدماء وبلا سند ربطوا بينهم وبين تلك الأحجار. والحق أننا لا نعرف شيئا عن هذه الآثار، لأن الذين شيدوها لم يكونوا يعرفون الكتابة.. كما لم نعلم سر اختيار سهل ساليزبرى كمكان لإقامتها، ولا سر عدم اعتمادهم على الأحجار المحلية، وتكلفهم مشاق جلب أحجار أخرى من جنوب غرب ويلز، على بعد حوالى ٣٥٠ كيلومترًا.

لغزٌ حَيَّرَ العلماء:

هذه الأحجار ليست فريدة فى نوعها، فمن السهل أن نجد آلاف دوائر الأحجار الأخرى، التى ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، على امتداد الجزر البريطانية وشمال فرنسا ويرجح العلماء أن إقامة تلك الأحجار تمت ما بين عامى ٣٢٥٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد. والسر فى بقاء دوائر الأحجار الباقية أنها أقيمت فى مناطق تعتبر اليوم مهجورة لا يكاد يسكنها أحد.. والأرجح أن آلافًا أخرى من الدوائر الحجرية قد اختفت بالكامل بفعل الزمن أو لتحطيمها عمدًا..

هذه الظاهرة ما زالت لغزًا مستغلقًا أمام علماء الآثار القديمة فى كثير من جوانبه.

قطر تلك الحلقات الحجرية يتراوح تراوحًا كبيرًا.. أصغرها فى كيل روس، بكونتى كورك، ولا يتجاوز ٢.٥٧ متر.. ومن أكبرها الحلقة التى تحيط بقرية كاملة فى آفبورى، بويلشاير وأحجار

هذه الحلقة تكشف عن ذلك الجهد الذى لا يصدق، الذى بذل فى إقامة تلك الحلقة الواسعة، والتى تغطى ما تزيد مساحته عن ١١ كيلومترًا! ويضاعف من ذلك الجهد اعتماد القدماء على أدوات حفر بدائية، مصنوعة من قرون الغزال.

وحتى نتصور طبيعة ذلك الجهد، يجب أن ندخل فى اعتبارنا أن الأمر كان يتطلب نقل أحجار يصل وزن الواحد منها إلى ٦٠ طنًّا لمسافة تصل إلى عدة كيلومترات ربما تم ذلك باستخدام زحافات خشبية تشدها إلى بعضها حبال جلدية، وقبل أن تتحرك الزحافة كان لابد من التمهيد لذلك بإزالة مئات الأشجار لإفساح الطريق فى منطقة الغابات تلك.

لم يعثر علماء الآثار على شىء يساعدهم فى تفسير سر تلك الحلقات الحجرية. الأستاذ «ريتشارد أتكنسون» من كلية يونيفيرستى، فى كارديف، والذى بدأ حفرياته فى خمسينيات القرن الماضى، يقول: علينا قبول حقيقة أن هناك مساحات واسعة من الماضى لا يمكن أن نعرف ما نريد أن نعرفه عنها، ومن أمثلة ذلك تلك الحلقات الحجرية التى تعتبر من الآثار العظيمة، التى لا تمدنا بما يفيدنا من معلومات.. لا نجد فيها ما يشير إلى الحياة فى العصر الذى بنيت فيه كما لا نجد فيها ما يمكن أن يقودنا إلى فكرة واضحة عن السر فى إقامتها..

كل ما أمكن العثور عليه فى مناطق الأحجار الضخمة كان عبارة عن أدوات الحفر من قرون الوعل لعمل الثقوب فى الأحجار، وقطع حجر الصوان، وبعض الفئوس، وأجزاء من

الفخار تنتمى إلى مختلف المراحل التاريخية وبعض الدبابيس المصنوعة من العظم، بالإضافة إلى بعض الهياكل العظمية المعتاد وجودها فى تلك الأماكن.

نظام فلكى دقيق:

أهم ما توصل إليه العلماء هو أنه إذا كانت هذه التشكيلات الحجرية تنطوى على قوى خفية غامضة، فإنها تستمد قوتها من النسق الفلكى الدقيق الذى كانت تقام بمقتضاه.

الكاتب البريطانى «جون مايكل» المتخصص فى الآثار القديمة كتب عن تطور تاريخ ما يسمى بعلم الآثار الفلكية قائلاً: إن ذلك العلم تغيرت النظرة إليه، من اعتباره محض جنون، إلى اعتباره كفرًا، إلى النظر إليه كمجموعة من الملاحظات والأفكار المثيرة.. حتى وصل إلى بدايات الاعتراف الأكاديمى الكامل.. وعن تطبيق ذلك العلم على الحلقات الحجرية يقول:

الفكرة لا تبدو ضارة بالمرة لكنها حافلة بالإثارة فهى تثير بعض التساؤلات حول كيفية بناء هذه الأحجار العملاقة منذ أربعة آلاف سنة.. وحول ما تتضمنه من معارف فلكية. وهى تقتضى إعادة النظر فيما استقر من معارف حول طبيعة تطور الحضارات.. الأخذ بنظرية علم الآثار الفلكى فى هذا المجال لقى مقاومة فى الأوساط العلمية، باعتبار أن الاعتراف بوصول إنسان العصر الحجرى الحديث إلى معارف فلكية تفوق ما وصل إليه أبناء القرون الوسطى يهز إيماننا بإنجازاتنا العلمية المعاصرة.

اتجاهات الهرم الأكبر:

لقد عرف علماء الآثار منذ زمن أن حلقات الأحجار وغيرها من المعابد القديمة تم تشييدها بطريقة تسمح لها بمواجهة شروق الشمس فى بعض الأيام ذات الدلالة.. غير أنهم لم ينتبهوا إلى عبادة الشمس إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ولم تحظ هذه الرؤية بالانتباه الأكبر، إلا بعد تأسيس المجلة العلمية «نيتشر» عام ١٩٠١ ، على يد سير نورمان لوكيير، زميل الجمعية الملكية، ومدير معمل علوم الطبيعة الشمسية فبعد أن أثبت «لوكيير» الارتباط بين اتجاهات الهرم الأكبر فى الجيزة وبين حركة الشمس انتقل باهتمامه إلى ظاهرة الأحجار العملاقة.

وبعد خمس سنوات من الدراسة الجادة، نشر كتابًا أثبت فيه أن العديد من الحلقات الحجرية لا ترتبط فقط بحركة الشمس، ولكنها ترتبط - فى نفس الوقت- بحركة النجوم ورغم أنه من السهل حاليا مراجعة الكثير من آراء كتاب لوكيير، إلا أنه بكتابه هذا فتح الطريق أمام نظرة جديدة لمجتمعات ما قبل التاريخ ومن بين العلماء الذين واصلوا البحث فى هذه الظاهرة أدميرال بويل سمرفيل، وقادته دراسته الطويلة إلى أنه فى كل حالة من حالات الأحجار الهائلة يوجد تطابق دقيق فى علاقات مجموعة الأحجار مما يوحى بوجود وحدة قياس مشتركة تم الالتزام بها فى كل مجموعة من المجموعات.

ومن بين الذين وقعوا فى أسر الحلقات الحجرية دكتور «ألكسندر ثوم» أستاذ العلوم الهندسية المرموق فى جامعة

أوكسفورد فانشغل بالموضوع ما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦١ فى أعقاب رحلة قام بها فى الثلاثينيات فى شمال أسكتلندا وفى عام ١٩٧٦ ألقى دكتور ثوم قنبلته العلمية من خلال كتابه «مواقع الأحجار العملاقة فى بريتانى» والذى كان حصيلة مسح ما يزيد على ٦٠٠ موقع، وتوصل من هذا إلى أن «جميع الدوائر رغم ما قد تبدو عليه من انتظام دقيق فى مواقعها جرى وضعها بتصميم هندسى دقيق، وفقًا لمعارف فلكية على درجة عالية من الدقة..»

اكتشفوا انحراف القمر:

لقد اكتشف د. «ثوم» وحدة القياس الخاصة التى يجب أن تستخدم فى رصد الأحجار الضخمة وقيمتها ٨٢.٩ سنتيمترا (٢.٧٢قدم) وفقًا لهذه الوحدة لم ينجح القدماء فقط فى تخطيط دوائرهم بل استطاعوا رسم القطع الناقص والدوائر الممطوطة أو المضغوطة بشكل منتظم، وأثبت اعتمادهم على معارف هندسية خاصة بهم تتضمن معرفة بخصائص المثلث قائم الزاوية التى نسبت إلى فيثاغورس بعد ذلك بألف سنة! كما أن حساباتهم توحى بأنهم عرفوا النسبة التقريبية (ط) أى العلاقة بين محيط الدائرة وقطرها والتى ظهر الحديث عنها فى كتابات علماء الهند بعد ذلك بألفى سنة.

ومن هذا استخلص د. ثوم أن بناة تلك الأحجار العملاقة كانوا من علماء الرياضة بكل ما تعنيه الكلمة يمارسون مهاراتهم العلمية ربما قبل أن يمارسها بشر آخر على الأرض.. هذه الفكرة فى حد ذاتها أثارت حفيظة علماء الآثار التقليديين.. لكن كانت فى جعبته مفاجآت أخرى!

لقد أثبت د. ثوم أن بناة الأحجار الضخمة بالإضافة إلى معارفهم الهندسية، أصحاب معارف فلكية خاصة على درجة عالية من الدقة.. واستطاعوا أن يجعلوا من حلقاتهم الحجرية مراصد فلكية على درجة عالية من الدقة لا تفيد فقط فى التعرف على الحقائق الفلكية البسيطة مثل تحديد منتصف الصيف أو الشتاء بل تفيد فى رصد الحركات الدقيقة للنجوم.

كما أثبت أن بناة تلك الأحجار توصلوا إلى كشف ظاهرة دقيقة تتصل بحركة القمر، وتنتج عن مداره البيضى غير مكتمل الاستدارة.. وهى ظاهرة تتكرر كل ١٨.٦ سنة! وهو يعتقد أن مثل هذا الكشف لابد أنه اقتضى منهم جهد أجيال من الدراسة العلمية المتراكمة.

فى كتاب «ضوء القمر فوق حلقات الأحجار العملاقة» يتحدث الأستاذ «ريتشارد أتكنسون» عن الأثر الذى تركته كتابات دكتور «ثوم» بالنسبة للنظريات المستقرة عن نموذج الحياة فى أوربا ما قبل التاريخ.. وكيف أن تلك الكتابات قد أحدثت ارتباكًا فى النظريات التى كانت شائعة طوال القرن العشرين ويضيف أن هذه النظريات نتيجة لذلك بدأت تهتز.. وهو يقول «وفق حقائق النموذج السائد فى فهم الحضارات، يكاد يكون من المستحيل أن يتمكن بعض البرابرة فى أقصى شمال غرب أطراف القارة الأوربية أن يتعاملوا مع ذلك المستوى من المعارف الرياضية الذى لا يمكن أن يوصف بأنه أقل من معارف المصريين القدماء فى نفس الوقت.. ومعارف أهل حضارة ما بين النهرين فى زمن لاحق..».

شعاع منتصف الشتاء:

في كتابهما «العالم الغامض» يقول سيمون ويلفير وجون فيرلي «أبسط وأكثر الأدلة إبهارًا في إثبات أن إنسان ما قبل التاريخ قد درس واكتشف حركة الأجسام السماوية لا تستمد أساسًا من الدوائر الحجرية، بل من المقبرتين الرائعتين، في أيرلندا، وفي مينلاند.. المقبرة الأيرلندية والتي يطلق عليها نيو جوانج تيمولوس تقع على نهر «بوين» ومنذ أعيد ترميمها رأى فيها الجميع إحدى عجائب التاريخ القديم المعماري. ورغم أنها لا تحظى بشهرة خارج أيرلندا، إلا أنها تنفرد بدلالة خاصة فهي أقدم المباني التي ما زالت قائمة في العالم..».

اكتشفت هذه المقبرة بالصدفة عام ١٦٩٩ ، وأصبحت من المشاهد السياحية المعروفة، والتي يقبل عليها السائحون وعندما أوكل أمر الإشراف على ترميمها للعالم الأثري «مايكل أوكلي» في ستينيات القرن الماضي لم يندهش لعدم عثوره سوى على عدد محدود من العظام التي أقيمت المقبرة للحفاظ عليها، نتيجة لتردد السائحين على مدى قرنين من الزمان.. ومع ذلك فقد بقي له ذلك السر الذي أتيح له أن يكشفه.

عندما أزال الحشائش والأتربة من حول وفوق جسم المقبرة فوجئ بوجود فتحة مستطيلة أعلى المقبرة كانت نصف مغلقة بكتلة مربعة من صخر الكوارتز البلوري وقد اكتشف «أوكلي» عليها عدة خدوش فاستنتج أنها كانت ترفع وتعاد إلى الفتحة بشكل متكرر لغرض ما.. لقد كانت أصغر من أن تتخذ مدخلاً للمقبرة.. ما هو سرها إذن؟.. ثم تذكر الأساطير التي كانت تربط بين الآثار القديمة وبين الوظائف الفلكية.. وبدأ البحث في ذلك الاتجاه.

أخيرًا اكتشف أنها قد أحدثت لتحديد يوم منتصف الشتاء!.. وأجرى «أوكلى» حساباته الفلكية ليجد أنها تساند فكرته وهكذا دخل «أوكلى» إلى المقبرة فجر يوم منتصف الشتاء فى ديسمبر من عام ١٩٦٧ ووقف ينتظر الذى سيحدث عندما ترسل الشمس أول شعاع لها.. فكانت المفاجأة الدراماتيكية التى يحكى عنها كما يلى:

«لقد ذهلت بالفعل.. بدأ دخول الضوء إلى عمق المقبرة، مع ظهور أول شعاع للشمس عند الأفق..

كان شعاع الشمس فى بداية الأمر رفيعًا، فى سمك القلم الرصاص، ثم تحول إلى حزمة ضوء آخذة فى الانتشار حتى بلغ قطرها حوالى ١٥ سنتيمترًا.. كان الضوء فى عمق المقبرة قويًا إلى حد أننى استغنيت عن ضوء المصباح الذى كان معى واستطعت أن أتبين طريقى وسط الأحجار داخل المقبرة.. وبلغ من قوة الضوء أن استطعت رؤية السقف الذى يرتفع حوالى ستة أمتار.. توقعت أن أسمع صوتًا وأن أشعر بيد باردة تستقر على كتفى.. لكنى لم أصادف سوى السكون المطلق وبعد دقائق معدودة، ضاقت حزمة الضوء وما أن ارتفعت الشمس قليلاً عن الأفق حتى انحرفت أشعتها عن الفتحة وعاد الظلام ليسود المقبرة..».

قاعدة سفن فضائية!

مع كل هذا، فالنظرية التى تقول بوظيفة فلكية لهذه المقابر والأحجار العملاقة لا تقدم التفسير الكامل لهذه الظاهرة فبعض الدوائر الحجرية لا يخضع ترتيبها لأى منطق فلكى كما أن بعض

العلماء يدين التفسير الفلكى لأنه يعتمد على العمليات الحسابية والإحصائية أكثر مما يعتمد على الأسانيد المادية المتحققة فى الطبيعة، بالإضافة إلى أن أغلب الدوائر الحجرية قد تغير تكوينها الأصلى على مدار الزمن وهناك نظريات غريبة أخرى فى تفسير ظاهرة دوائر الأحجار العملاقة باعتبارها حلبة لسباق خيل أو لمصارعة ثيران أو نصبًا لتكريم شهداء الحرب.. أو قاعدةً لهبوط سفن الفضاء من الكواكب البعيدة!..

وبينما يأخذ القليل من الناس هذه التفسيرات مأخذ الجد فهناك نظرية حظيت باهتمام الكثيرين تقول إن هذه الأحجار بأحجامها وبترتيبها الخاص تهدف إلى استقطاب ونقل الطاقة من الشمس إلى الأرض وأنها قد أقيمت فى الأماكن التى يمكن استمداد الطاقة منها وقد ربطوا بين نظرياتهم وبين ما زعمه القدماء من أن الأحجار بها طاقة سحرية تساعد على الشفاء وهو ما أورده مؤرخو القرن الثانى عشر.

وتحمس لهذه النظرية عدد من العلماء والباحثين فقاموا بأبحاث مطولة عام ١٩٧٩ على دوائر الأحجار العملاقة فى ريف أوكسفورد شاير واختاروا لبحثهم الاسم الرمزى «مشروع التنين» وجاء فى تقاريرهم أنهم سجلوا نبضات فوق صوتية تصدر عن تلك الأحجار وقت الفجر. أما دكتور «أويرى بورل» العالم الأثرى وصاحب المرجع الجاد فى موضوع الدوائر الحجرية فيميل إلى القول بأن هذه الدوائر لم تكن أكثر من كنائس وكاتدرائيات مارس فيها أهل العصر الحجرى طقوسهم وشعائرهم الدينية.

أيًا كان الهدف من إقامة هذه الأحجار الهائلة فإن مجرد وجودها ما زال يثير الكثير من التساؤلات حول مصدر العلوم والمعارف التى أتاحت لأبناء العصر الحجرى أن ينقلوا تلك الأحجار وينصبوها قائمة فى ترتيب هندسى يقوم على معارف فلكية دقيقة، ثم كيف أتيح لهذه المعارف أن تنتقل من جيل إلى جيل بين من لم يعرفوا الكتابة أو التدوين.

فى هذا يقول دكتور بورل «سيظل السر دائمًا مغلقًا لأن علم الآثار القديمة لا يستطيع أن يصل إلا إلى بعض بقايا الماضى.. نحن نتعامل مع قطع من الفخار المكسور، وبعض بقايا العظام البشرية.. إنها جميعًا أدلة صامتة لا تتيح لنا أن نلاحظ أهل ذلك الزمان يرقصون أو نسمعهم ينشدون.. إننا لا نتقدم سوى خطوات قليلة فى ذلك الظلام الدامس..».

(شانجرى - لا) .. جنة التبت

هل تذكرون قصة (الأفق المفقود) التى كتبها جيمس هيلتون عام ١٩٣٣، والتى كانت مقررة على المدارس الثانوية؟.. كانت القصة عن طيارين سقطت طائرتهما، وضلا طريقهما فى جبال الهيمالايا ثم عثرا على مجتمع كامل من البشر مقطوع الصلة بالعالم، لا يعرف الفساد الذى يتصاعد فى الحياة المدنية للبشر.. نوع من اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة.

على الفور استولى الموضوع على خيال البشر، بأكثر مما فعلت أى رواية فى القرن العشرين.. لقد استهوى القراء ذلك الوصف لمجتمع منعزل حيث قادت العزلة إلى إيقاف عجلة الزمن، وإلى جعل الحياة تمضى وفقًا للحكمة المتجمعة من الفنون والعلوم القديمة.. وعشق القراء حياة أبناء ذلك المجتمع الذى يعيشون فى سلام وانسجام وتعلقوا بقول أحد الأتباع «ليست لدينا حدود جامدة أو قوانين محبطة نحن نفعل ما نعتقد أنه الأنسب، وفى هذا نستهدى قليلاً بالماضى، ولكن بشكل أكبر نستنير بحكمة الحاضر، وبرؤية بصيرتنا للمستقبل..»

ورغم أن هيلتون لم يكن أول من كتب واصفًا مدينة فاضلة، تضم مجتمعًا معزولاً عن فساد الحضارة المعاصرة فقد سبقه إلى ذلك الكثير من فلاسفة اليونان، والمفكرين المسلمين والروائيين فى مختلف أنحاء العالم.. ومع ذلك فقد استجاب الناس لقصته؛ لأن مدينته الفاضلة (شانجرى – لا) جسدت الصلة

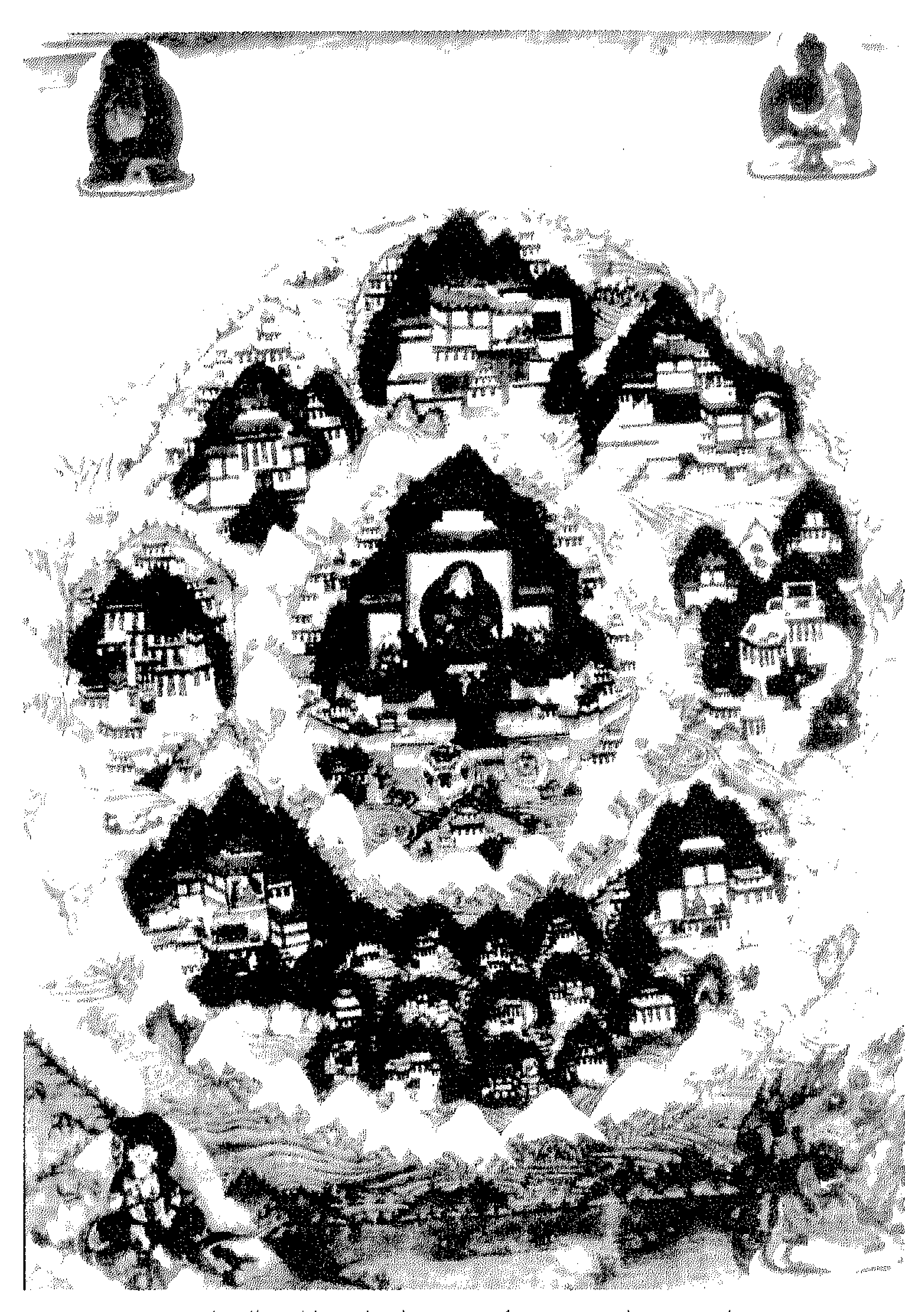
التى اشتاقوا إليها، وأن تكون الرابط بين حياة الغرب المادية التى لا يرضون عنها، وبين الحكمة الغامضة للشرق.

وما زال الكثيرون يعتقدون أن هيلتون أقام قصته على تقاليد الشرق الأقصى؛ لأنه فى مكان ما هناك يوجد فى الحقيقة مجتمع شبيه بذلك الذى وصفه.. ومضوا إلى القول بأن تلك الجنة الخفية لابد أن تقع ما بين التبت ومنغوليا.

وفقًا للأسطورة يطلق على ذلك المكان اسم (تشانج شامبالا) والتى تعنى «المكان الشمالى الذى يسوده الهدوء» وكتابات البوذيين الأوائل تصف ذلك المكان بأنه مصدر نظام من الحكمة المواكبة يطلق عليه (كالاتشاكرا)

وقد أورد «أندروتوماس» فى كتابه «شامبالا» العديد من العقائد المناظرة فى الهند والصين وروسيا والتبت.. يقول: «هناك عقيدة قديمة واسعة الانتشار فى الشرق الأقصى، تؤمن بوجود حشد من البشر المستنيرين يعيشون فى عزلة عن العالم، فى مكان لا يمكن الوصول إليه فى أسيا. مؤرخو وفلاسفة اليونان وروما القديمتين، ذكروا مثل هذه التقاليد فى كتاباتهم وقد عرف عن فيثاغورس العظيم أنه ارتحل إلى هندوستان..»

مثال ذلك ما يوجد فى الصين، فى منطقة معزولة بآسيا الوسطى، التى تحوطها جبال (كون لون)، حيث ولد كل من (نو) و(كوا) وهما المناظران الشرقيان لآدم وحواء.. هذه الجبال كانت دائمًا مسرحًا للعديد من الأساطير فى تاريخ الصين، حول وادٍ للخالدين الذين يعيشون فى سلام وانسجام.



لوحة تبتية تظهر «شامبالا» كواحة تحوطها القمم الثلجية للجبال.

وفى روسيا، جرت فى القرن السابع عشر محاكمة مجموعة تؤمن بدين قديم، يرددون حكايات حول جنة شرقية يطلق عليها «بيلوفوداى» ذلك الوادى المفقود بين قمم جبال (التاى) وبعض الجماعات الهندية تؤمن بوجود منطقة فى شمال جبال الهيمالايا ويطلق عليها (كالابا) حيث يقيم «الآدميون الكاملون» والمفترض أن شامبالا ذاتها فى التبت أو فى شمالها، حيث سمع الكثير من الرحالة تقاليد الرجال المقدسين».. فى وسط الجبال العالية، يوجد واد غير متوقع معزول.. العديد من الينابيع الساخنة تغذى الخضر العديدة.. وتوجد فيه العديد من النباتات والأعشاب الطبية، التى تزدهر على التربة البركانية غير العادية..»

ثقافة بدوية:

من الواضح وجود شىء من الأهمية الروحية الكبيرة فى تلك الأماكن الواسعة، التى يرجع تاريخها إلى الأزمان القديمة جدا.. تكمن الصعوبة فى الوصول إلى الإجابة السليمة: هل هى مواقع فعلية، أم هى مجرد أساطير؟

التبت ومنغوليا تعتبران معًا من الأماكن التى يصعب الوصول إليها، والتى أفرزت حضارة بدوية روحية. التبت بصفة خاصة أشبه بجزيرة وسط قارة أسيا، وهى من حيث المساحة، أكبر من فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا مجتمعة.. إنها عبارة عن سهول بلا أشجار، موحشة، وباردة، وجافة، تحيط بها سلاسل الجبال، وحتى اندماجها فى الصين، عاش التبتيون فى عزلة عن العالم الخارجى.. الطقس الخاص الذى يميز

منطقتهم، جعل أهل التبت من البدو ، الخشنين، الجسورين، غير الماديين، المستعدين دائمًا للنزوح إلى الأرض الأكثر خصوبة.

العديد من علماء الأديان، قد لفتوا الانتباه إلى حقيقة أن العديد من أديان العالم وعقائده الكبرى تكونت فى ظل شروط حياة قاسية متقشفة، وفى كتابه عن (دين التبت) كتب «تشارلز بل» يقول «اليهودية، والمسيحية، والإسلام يمكن اقتفاء نموها شديد الوضوح، فى حياة الصحراء. والبوذية – وبالتحديد نمطها الذى تشكل فى التبت ومنغوليا – ازدهرت بشكل متميز فى السهول العظمى المترامية، والتى لو لم تكن صحارى تقليدية فهى قريبة منها.. فالهواء الجاف البارد النقى ينشط العقل، لكن العزلة عن باقى المدن والأمم تحرم أهل التبت من الموضوعات التى تغذى العقل؛ لهذا يتجه عقل البدوى إلى الداخل، معتمدًا على حقائق عقيدته، تساعده على ذلك رتابة الحياة التى يعيشها..».

تحكم العقل فى البدن:

بتأثير هذا الطقس، استطاع أفراد طبقة اللاما، وأصحاب القدرات الخاصة أن يحققوا تحكمًا غير عادى فى أجسادهم – العديد من الرحلات الاستكشافية التى مسحت تلك المناطق شاهدت الكثيرين الذين يعيشون وسط الثلوج لا يضعون على أجسامهم سوى غلالة رقيقة. بل لقد رجح العلماء أن يكون لدى أهل تلك المناطق القدرة على التحكم فى الجاذبية والتحلل منها جزئيًا بطريقة تسمح بالاندفاع فى قفزات عالية متتابعة أشبه بالطيران فى الفضاء!

ألكسندرا دافيد نيل، المستكشفة التى أمضت ١٤ سنة فى التبت، فى بدايات القرن العشرين، والتى تعلمت القراءة والحديث بجميع اللهجات المحلية.. والتى أصبحت بوذية مكتسبة ثقة أعلى مراتب اللاما قد تحدثت عن معاينتها لمثل هذه القدرات الخارقة فى نفس الوقت، ووفقًا لما قاله أستاذها فى (الكوليج دى فرانس) بباريس «ظلت منتمية للغرب، من أتباع ديكارت، تمارس التشكك الفلسفى الذى يجب أن يكون السبيل الدائم للعالم الملاحظ..».

رواياتها عن هذه الظواهر، تفيد كيف أنها لاحظت «على بعد أمامنا بقعة سوداء متحركة اكتشفت بالمنظار المعظم أنها تمثل رجلاً..» وتواصل قائلة: إنه كان يتحرك بسرعة غير عادية، ومع استمرار اقترابه منها «أصبحت سرعته العجيبة أكثر فأكثر وضوحًا» عندما أظهرت الرغبة فى الحديث إليه وتصويره، منعها زميلها التبتى، قائلا« يجب ألا توقفى اللاما، أو تتحدثى إليه.. فإن هذا سيقتله.. هؤلاء اللاما عندما يرتحلون يحظر عليهم قطع حالتهم من التأمل العميق؛ فالقوة الخارقة التى بداخلهم ستوقف تعويذتهم السحرية، وعندما تفارقهم تلك التعويذة قبل موعدها المناسب تقذف بهم إلى الأرض ليفقدوا حياتهم..»

ولكن بقى لها أن تراقبه عن قرب فى اندفاعه القافز «كنت قادرة على أن أرى بوضوح وجهه الهادئ الخالى من الانفعال وعينيه المفتوحتين بنظرتهما الثابتةعلى شىء غير مرئى يستقر أمامه فى الفضاء.. لم يكن الرجل يجرى كان كمن يرفع نفسه عن

الأرض بقفزات واسعة.. كان وكأنه يمتلك مرونة الحركة التى تمتع بها الكرة المطاطية مرتفعًا فى الفضاء كلما لمست قدمه الأرض.. كانت خطواته لها نفس انتظام حركة البندول!..»

كتاب «ألكسندرا» مع أصحاب القدرات الخاصة والسحرة فى التبت هو أحد أهم كتابين عن مجتمع اللاما والمعتقدات السائدة فى حياتهم، ظهر فى القرن العشرين. أما الكتاب الثانى فقد كان كتاب نيكولاس ريوريتش «شامبالا» الذى نشر عام ١٩٣٠. كان المكتشفان عضوين فى الجمعية الثيوصوفية، التى تأسست عام ١٨٧٥ على يد الوسيطة غير العادية مدام «هيلينا بيتروفنا بلافاتسكى»، وقد دار نشاط تلك الجمعية حول عقيدتها التى تقول: إن الجنس البشرى عاش على أشكال عرقية مختلفة فى عدد من القارات التى تعتبر الآن مفقودة، من بين ذلك، أتلانتا وليموريا (النسخة الباسيفيكية لأتلانتا) تلك القارات التى ما زال تاريخها محفوظًا فى الأديان والميثولوجيا، وتزايد تأثير وانتشار مدرسة بلافاتسكى فى أواخر القرن التاسع عشر، كنقيض غير مسيحى للداروينية.. ورغم أن الكثير من افتراضاتها تبدو غير عاقلة فى ضوء المكتسبات العلمية المعاصرة، فإن رسالتها التى تدور حول وجود حكمة خالدة تنتظر من يكتشفها تبقى مقبولة وجذابة بالنسبة للكثيرين.

شامبالا.. والحكمة القديمة:

فى كتابه «الحكمة القديمة» يتكلم جيوفرى آش عن تلك المعرفة باعتبارها «نظامًا عريضًا لحقائق القانون الكونى، وطبيعة الإنسان، والاستنساخ وغير ذلك من المسائل، هذه المعرفة

مرت فى آلاف السنين الأخيرة فى طور التحلل والتحريف.. لكن جميع الأديان والعقائد الشعبية تقوم عليها، وتنقل إلينا جوانب منها. وفى رأيى أن الهندوسية والبوذية هما الأقرب إليها.. وأن الهند والتبت هما الدولتان اللتان لديهما الكثير مما يستحق التعلم..».

الثيوصوفية مقتنعة بأن شامبالا هى أصل هذه المعرفة، لكنها لم تكتسب شكلاً ماديًا ملموسًا، باعتبارها مجتمعًا روحيًا..« كما الجنة الموجودة فى هذا العالم، ولكن على بعد آخر». فى عام ١٩٢٨، فى واحدة من زياراته العديدة للتبت، سأل نيكولاس ريوريتش لاما من التبت حول حقيقة شامبالا، فكانت الإجابة التى حظى بها «شامبالا العظمى بعيدة فيما وراء المحيط إنها المنطقة السماوية الرائعة وهى لا تمت بصلة لأرضنا.. كيف ولماذا أنتم – البشر الأرضيين – تبدون اهتمامًا بها؟.. أنت لن ترى الأشعة الرائعة التى تصدر عن شامبالا إلا فى بعض الأماكن التى فى أقصى الشمال..».

وبالنسبة (لأليس بايلى)، التى كانت تحرر جريدة الجمعية الثيوصوفية كانت شامبالا «المركز الحيوى فى الوعى الكوكبى» وقالت زميلة أخرى لها: إن شامبالا هى المكان المقدس الذى يتصل عنده العالم الأرضى بأعلى مراتب الوعى.

حتى بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون بوجود موقع حقيقى لشامبالا يوافقون على أن المكان له جوانب غامضة وسحرية تعتبر أكثر أهمية من الدقة الجغرافية.

«جيوفرى آش» الذى يصر على أن جبال (التاى) الروسية هى المكان الذى وصفته أدبيات التبت فى هذا الموضوع، وهو يعتقد أن الرحالة الذين يحملون خريطة تدلهم على الموقع لن يتمكنوا من ذلك ما لم يكونوا قد استعدوا لتلك الرحلة روحيًّا، ويصف أحد كهنة التبت الطريق فى كتاب بعنوان «الممر الأحمر إلى شامبالا» محددًا المدخل فى دولة منغوليا.. ومع ذلك فهو يقول إنه لا يمكن لأى شخص أن يذهب إلى هناك ببساطة حتى لو تم ذلك بصحبة الكهنة.. فالحاج يجرى استدعاؤه أولاً.. وإذا حاول دون استدعاء قضى عليه.. ومع ذلك فالطريق يمكن أن يكون (تخريمة) قصيرة عن طريق القدسية والقوى العقلية.

وساطة الكاهن السمين القصير!

واليوم ،مع ما نلمسه من غموض حول مكان شامبالا، الأمر الذى يحتمل أن يبقى على حاله إذا ما أدخلنا فى اعتبارنا طبيعة النظم الحاكمة فى أى من المواقع المطروحة، فالذى يبقى لنا مما له قيمة ما هو تعاليم اللاما والتأثيرات التى تبدو متجاوزة للطبيعة، والتى لها معناها المعاصر.

ووفقًا لما قالته الباحثة ألكسندرا دافيد نيل «سر التدرب على القدرات العقلية الخاصة كما يعتقد أهل التبت تنحصر فى التدريب على قوة تركيز العقل، بشكل يتجاوز حتى أولئك الحائزين على هذه القدرة كموهبة طبيعية.. يؤكد المعلمون فى التبت أنه عن طريق هذه القدرة على تركيز العقل تنتج موجات طاقة، يمكن استخدامها بطرق مختلفة..» ثم تعلق قائلة: إن كلمة (موجات) من عندها هى لم ينطق بها أحد المعلمين وإنها تستخدمها من أجل تسهيل الأمر على القارئ الغربى.. وهم عادة ما يتحدثون عن تيار.

وتستطرد «ألكسندرا» قائلة: وهم يتحدثون عن (طاقة) ويعتقدون أن تلك الطاقة تتبدى كلما نشط الشخص صاحب القدرة العقلية الخاصة.. وممارسة القدرات الخاصة تعتمد على القوة الصادرة عن هذه الطاقة..» ثم تستطرد قائلة: إن الاستخدام المركز لهذه الطاقة يمكن أن يحدث الكثير من المعجزات.. يمكن أن نجعل الأشياء غير مرئية كما يمكن أن نتيح للأشباح أن تكون مرئية على شكل رجال أو حيوانات أو أجسام جامدة.. وتقول: إنها كانت فى أول الأمر متشككة فى مثل هذه القدرات إلى أن أصبحت قادرة – من خلال عدة تجارب – أن تتحكم فى تلك القدرة الخارقة.

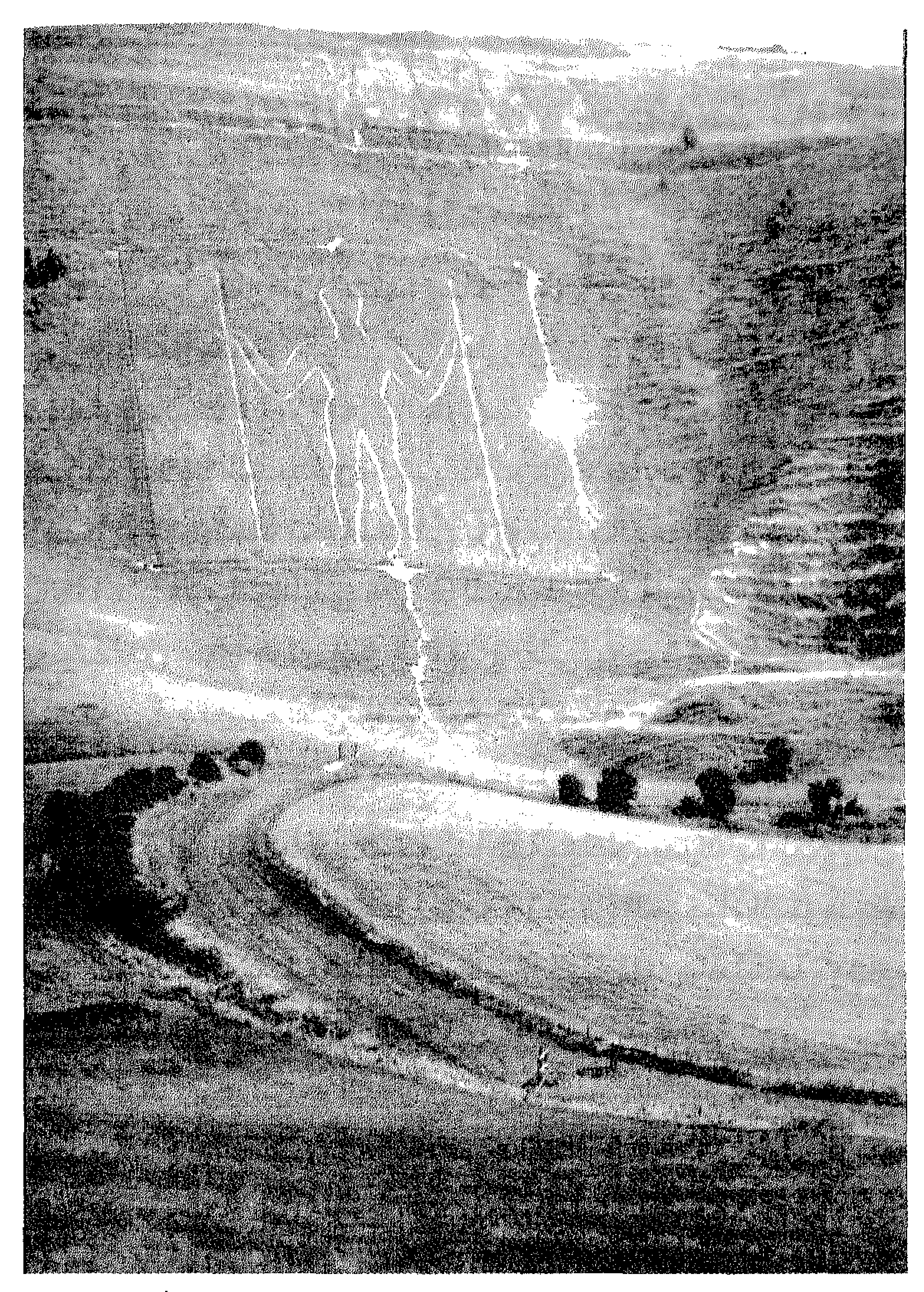
تقول «الكسندرا دافيل» نيل، ولكى أتجنب التأثر بأشكال آلهة اللاما التى أصبحت أراها حولى فى اللوحات والصور اخترت لتجاربى شخصية غاية فى التمين، كاهن ، قصير، وسمين، من الطراز الذى تبدو عليه البراءة وحب المرح..».

يقول «فرانسيس هيتشينج» مؤلف كتاب أطلس عالم الأسرار: «إن قيامه بتقديم ذلك الكتاب استهدف أملاً كبيرًا يتمنى تحققه وهو أن تحتضن علوم القرن الحادى والعشرين هذه الظواهر وما توصل إليه علماء القرن العشرين وأن يحاولوا إعادة استكشاف ما تم استكشافه.. إلى أن يقول: «من الممكن أن تكون هناك بعض الأماكن التى نبحث فيها عن معالم (شامبالا) ونتعمق فى أدبياتها وأن نطور ما توصلنا إليه من حكمتها، والتى تكاملت قبل أن تبدأ الحضارة الحديثة..».

لغز الرسوم العملاقة وخطوط نازكا الغامضة

ذات يوم حار من صيف عام ١٩٣٢، كان الطيار المدنى جورج بالمر يمضى الوقت فى الطيران بين لاس فيجاس بولاية نيفادا، وبلايث فى ولاية كاليفورنيا، عندما اقترب بطائرته من مدينة بلايث المجاورة لمدينة لوس أنجلوس، متطلعًا إلى الصحراء التى تمتد تحته، والتى يرتفع عنها بحوالى ١٥٠٠ متر، باحثًا عن الأماكن التى تصلح للهبوط الاضطرارى، فجأة وهو يقترب من نهر كولورادو المتعرج على بعد ٢٩ كيلومترًا من وجهته، وقع بصره على رسم عملاق لإنسان يتمدد على الأرض؛ فأغمض عينيه وفتحهما متشككًا فيما رأى.

بالمر رأى الرسم فى لمحة خاطفة، وكان يدرك ما يمكن أن يحدث للطيار من خداع بصر؛ نتيجة لشمس الصحراء المتوهجة، وهو أمر يحدث لأكثر الطيارين خبرةً؛ لهذا فقد عاد ثانية، وقام بدورة جديدة عبر الجرف الحجرى بالقرب من حافة النهر، ومرة ثانية، عاد ليرى الرسم العملاق منقوشًا على الحجر وسط صفحة الصحراء! كان تقدير بالمر – فى ذلك الوقت – أن طول الرسم لا يزيد على ٣٠ مترًا وقبل أن يفيق الطيار من دهشته الأولى، اكتشف قريبًا من الرسم الأول رسمًا آخر عملاقًا على صورة حيوان له أربع أرجل، يشبه الكلب أو الحصان.



من بين الرسوم العملاقة الرجل الطويل على سفح جبل بالقرب من إيستبورن فى ساسكس بإنجلترا

بناءً على وصف بالمر الذى جاء فى تقريره، أوفد مُتحف لوس أنجلوس أمين القسم التاريخى بالمتحف (آرثر وودوورد) للتحقق من الأمر، وعندما وصل إلى الهضبة، اكتشف ثلاث مجموعات من الرسوم العملاقة بالقرب من بلايث، وقد ظهر تحمسه للاكتشاف من التقرير الذى رفعه إلى إدارة المتحف والذى جاء فيه:

«الرسم الأول الذى زرته يتكون من ثلاثية: رجل يستلقى على ظهره باسطًا ذراعيه وساقيه داخل دائرة يبدو أنها كانت تستخدم كحلبة للرقص؛ ثم حيوان طويل السيقان والذيل؛ ثم حزم من الخطوط الدائرية الثعبانية، ربما تمثل أحد الزواحف طول الرجل من رأسه إلى قدميه ٢٨.٥ متر، والحلقة قطرها ٤٢ مترًا، والحيوان يبلغ طوله من طرف الأنف وحتى نهاية الذيل ١١ مترًا، أما قطر حزمة الخطوط الثعبانية فيبلغ ٣.٥ متر».

ثم يأتى وودوورد فى تقريره على ذكر الهضبة الثانية التى لم يجد بها سوى رسم رجل واحد طوله ٣٠ مترًا، والهضبة الثالثة كانت بها ثلاثة أشكال كالأولى. أغرب ما فى هذه الرسوم أن أحدًا لم يذكر عنها شيئًا من قبل، رغم أن المنطقة كانت مطروقة من الناس، ولعل السر فى هذا أن الرسوم كانت كبيرة بدرجة لا يمكن معها أن يحيطها الإنسان ببصره وهو واقف على الأرض، فمعالمها لا تتضح إلا على ارتفاع معقول.

وعلى بعد ٥٤٠٠ كيلومتر جنوبًا، اكتشف الطيارون لغزًا شبيهًا محيرًا.

حدث ذلك عندما بدأت خطوط الطيران الداخلية رحلاتها فى أنحاء بيرو حيث اكتشف الركاب وأطقم الطائرات أن الصحراء بين وادى إيكا ووادى نازكا على بعد ٣٢٠ كيلومترًا جنوب ليما، زاخرة بالأشكال والرسوم العملاقة: أشكال هندسية، ورسوم طيور وحشرات وحيوانات والأشد غرابةً من ضخامة حجم تلك الرسوم أن بعض الخطوط كانت تمتد على استقامة كاملة لمسافة عدة كيلومترات عبر الهضاب والجبال، وكان هناك أيضا بعض الخطوط الأخرى التى تصنع أشكالاً هندسية مغلقة، تشبه ممرات هبوط الطائرات.. وكان كل هذا مرسومًا حتى لا يرى إلا من السماء!

خيول إنجلترا البيضاء:

وفى أعقاب هذه الاكتشافات، بدأ علماء الآثار فى الثلاثينيات من القرن الماضى يطرحون تساؤلاتهم:

من الذى قام بهذه الرسوم؟ وماذا تمثل؟ وماذا كان الهدف منها؟

وكالعادة، يبدو من السهل طرح الأسئلة، لكن الصعوبات تنشأ عند محاولة الإجابة عنها.. مع العلم بأن علماء الآثار فى بريطانيا كانوا يواجهون نفس المشكلة دون الوصول إلى نتيجة طوال ٢٠٠ سنة.

فعلى سفوح جبال وتلال خضراء فى إنجلترا، يوجد على الأقل خمسون شكلاً، والطريقة التى رسمت بها تلك الأشكال بسيطة

للغاية؛ فتحْت الطبقة العليا من التربة مباشرة، توجد طبقة من الحجر الجيرى الطباشيرى الأبيض، ومن السهل إظهار الطبقة البيضاء بعد إزالة التربة بمعول بسيط.

والمناطق الغربية من الجزيرة البريطانية هى أنسب مكان لعمل تلك الرسوم؛ حيث يكثر الحجر الطباشيرى، كما أن جوانب التلال حادة وشبه رأسية؛ بحيث يمكن رؤية تلك الرسوم من مسافات بعيدة.. وفى ويلشاير وحدها توجد سبعة خيول بيضاء وعلى الأقل ستة شعارات عسكرية، بالإضافة إلى طائر كيوى وحيوان بندا!

وعلى عكس الأمر، فى حالة الرسوم العملاقة التى فى جنوب كاليفورنيا وخطوط نازكا فى بيرو، فإن أصل رسوم إنجلترا فى معظمها معروف، كما نعرف الكثير عن الهدف من رسمها، فالشعارات العسكرية القريبة من سالزبيرى حفرها الجنود الذين كانوا يعسكرون بالقرب من ذلك المكان خلال الحرب العالمية الأولى ومعظم الخيول المنقوشة تعتبر حديثة نسبيًّا.. فحصان نيوبوزى فى ويلشاير تم رسمه بمناسبة احتفالات التتويج عام ١٩٣٧، وحصان كيلبورن فى يوركشاير رسمه بقّال من لندن اسمه توماس تيلور؛ بمناسبة عودته إلى مسقط رأسه عام ١٨٥٧، إلا أن الغموض الذى يحيط برسوم القارة الأمريكية ينسحب أيضًا على أربعة أشكال من رسوم الجبال فى بريطانيا عملاقين بشريين وحصان أبيض وآخر أحمر.

لغز أفنجتون:

الحصان الأبيض موجود فى نطاق قرية أفنجتون، فى بيرشاير، ويعتبر من العلامات المميزة للمنطقة إلى حد إطلاق اسم وادى الحصان الأبيض عليها، ومعظم الخيول البريطانية البيضاء مستوحاة من ذلك الحصان، لكنه يختلف عنها جميعًا فى أنه الحصان الأصيل والقديم من بينها، إن الأسلوب الذى رسم به ذلك الحصان ليس واقعيًا أو طبيعيًا، بل يتميز بالكثير من التحوير والتحريف الفنى؛ فالأطراف رشيقة وطويلة، ينفصل منها اثنان عن باقى الجسم.. والجسم رشيق منساب.

ونجد أن أقدم مرجع يتحدث عن حصان أفنجتون الأبيض يعود إلى القرن الثالث عشر، وهو كتاب باسم «كتاب العجائب» وهو من كتب السجلات الكنسية، صدر عن كنيسة أفنجتون فى عصر هنرى الثانى.. جاء فيه أن أحد الرهبان ويدعى جودريك يمتلك أرضًا بالقرب من المكان المعروف باسم (تل الحصان الأبيض). وفى زمن أقرب، كتب توماس هيدجز رواية تدور أحداثها فى أفينجتون، وتتضمن الكثير من الأساطير الفلكلورية حول الحصان الأبيض.. ومع ذلك، لم يستطع أىٌّ من واضعى تلك الكتب أن يكشف سر الحصان الأبيض، أو يشير إلى عمره بالتحديد، أو إلى السبب فى حفره فى ذلك المكان.

وهناك بالطبع عدة نظريات حول حصان أفينجتون الأبيض، فكتب الطوبوغرافى توماس باسكوفيل فى القرن السابع عشر، قائلاً: إن الحصان تم نحته بواسطة القائد الأنجلوسكسونى

هنجست قبل ذلك التاريخ باثنى عشر قرنًا، ومن المعروف أن كلمة هنجست تعنى حِصانًا باللغة القديمة لأهل تلك المنطقة.

ويقول البعض الآخر: إن ذلك الحصان تم بتكليف من ألفريد العظيم الذى كانت وسيكس أفينجتون مقرًّا لحكمه، وكان يهدف منه إلى تسجيل انتصاراته على الدان عام ٨٧١م.. وحديثًا، قال بعض علماء الآثار: إنه قد يكون الرمز الطقسى لعقيدة عبادة الحصان!

يلقى وجود ذلك الحصان بأعباء على عاتق سكان الوادى؛ فالأحجار الطباشيرية إذا لم يتم تنظيفها و إزالة ما ينمو عليها من الحشائش، انطمست معالمها، وقد حرص المؤرخون ابتداءً من القرن السابع عشر على تسجيل المراسم العجيبة لتنظيف الحصان، ويشير أستاذ علم الآثار «ستيوارت بيجوت»، إلى رسم حصان أفينجتون الأبيض، قائلاً: إنه يحمل شبهًا كبيرًا فى أسلوبه وتفاصيله بالحصان المرسوم على العملة المعدنية فى بداية العصر الحديدى؛ تلك العملة التى جرى سكها فى بريطانيا، فى وقت ما من القرن الأول قبل الميلاد تقليدًا لعملة فيليب المقدونى الذى كان قد مات قبل ذلك بقرنين.

عملاق سيرن البذىء!

وهناك شكل آخر يثير نفس القدر من التساؤلات على جانب تل يعلو القرية الجميلة (سيرن أباس) فى (دورسيت) ويعرف باسم «عملاق سيرن»؛ وهو كحصان أفينجتون مجهول الأصل،

ومع ذلك، فشكله يلفت الأنظار بشدة، طول ذلك العملاق ٥٥ مترًا، يمسك بيده اليمنى هراوة غليظة طولها ٣٧ مترًا، وعلى عكس حصان أفينجتون، تم تصويره برسم خطوطه الخارجية فقط.

وأهم ما يميز عملاق سيرن هو ظهور عضوه التناسلى الذى يبلغ طوله تسعة أمتار، ومن هنا اكتسب اسمه الشعبى «رجل سيرن البذىء»، وقد أثار كشف عورته العديد من المحافظين، وحاولوا إزالة الرسم تمامًا باستخدام البلدوزر، لكنهم لم يفلحوا فى مهمتهم. ومنذ وقت ليس بالطويل، ظهر فى الجريدة المحلية «دورسيت مجازين» خطاب من أحد سكان المنطقة، يتبرع فيه بقطعة قماش؛ ليتم بها ستر عورة العملاق، كما حاول جيران الرسم العملاق أن يصنعوا له ورقة توت كبيرة يسترون بها عورته.

ومن المعتقد أن عملاق سيرن كان يتخذ رمزًا للخصوبة فى واحدة من العقائد القديمة، ومن الغريب ما يحدث فى فجر يوم الأول مايو من كل عام، عندما يشرق أول شعاع للشمس متخذًا نفس اتجاه عضو التناسل عند العملاق وأيا كانت دلالة هذه الظاهرة، فقد نشأت حول العملاق مجموعة متنوعة من الأساطير والحكايات والمعتقدات.. من ذلك ما قيل عن أن الفتاة التى تطوف حول العملاق تحتفظ بحبيبها أو زوجها إلى الأبد!

وأيضًا مما شاع أن العروس عليها أن تزور المارد قبل أسبوع من زفافها؛ حتى تضمن حياة زوجية سعيدة.. كما أن سكان المنطقة يعتقدون أن المرأة العاقر يمكن أن تنجب إذا زارت العملاق البذىء!

ومن الأمور ذات الدلالة فى هذا المجال، أن رقصة «الماى بول» التى يرقص فيها الرجال مع النساء حول عمود مزين بالشرائط الملونة والأزهار، فى عيد أول مايو. هذه الرقصة تعتبر من التقاليد الراسخة بين سكان المنطقة، وهى تجرى فى مساحة مستطيلة، يطلق عليها اسم (المقلاة)، مكانها يكون على بعد أمتار من قمة التل، فوق الذراع اليسرى للعملاق.. ومن المعروف أن حفلات السمر فى أعياد مايو ترتبط دائمًا بموضوع الخصوبة.

وجهات النظر الحديثة فى تفسير ظاهرة العملاق تعتمد على عامل حاسم هو تاريخ نحته فى الجبل، فقرية سيرن أباس تقع فى منطقة تزدحم فيها بقايا القلاع والأطلال والمعسكرات القديمة، وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى القول بأن تاريخ حفر العملاق يرجع إلى ما قبل التاريخ، إلاَّ أن بعض العلماء يعترضون بشدة على هذا التقدير، وهم يرون أن تاريخ العملاق لا يعود إلى أبعد من القرن السابع عشر.

ومما يرجح الرأى الأخير، عدم ورود ذكر العملاق فى المراجع السابقة على عام ١٧٥١، كما يستند آخرون إلى رأى آخر، هو استبعاد وجود العملاق بعورته المكشوفة فى منطقة سيرن التى قامت بها مؤسسات كنسية هامة فى القرن السادس الميلادى.

وهناك تفسير طريف يطرحه جون هاتشنجز، مؤلف كتاب دليل دورسيت، يقول فيه إن المظهر البذىء للعملاق يكشف عن شهوانيته، والهراوة التى فى يده تكشف عن رغبته فى الانتقام، واتجاه القدمين يوحى بأنه يتهيأ للخروج من المنطقة، وإن الرسم

قصد به التهكم من الإقطاعى الذى كان يمتلك الأرض، وهو لورد هوليس الذى ثار عليه خدمه، وقتلوا ابنه وحفروا صورة ذلك المارد على جانب التل للسخرية منه.

إنسان ويلمنجتون الطويل:

وهناك عملاق آخر، يطلق عليه اسم «إنسان ويلمنجتون الطويل» بالقرب من إيستبورن شرق ساكس وهو يشبه عملاق سيرن، فى أنه مرسوم بتحديد الإطار الخارجى فقط، سمك الخط المرسوم به ذلك الإنسان يبلغ ٧١ سنتيمترًا، أما طول الجسم فيلبغ ٧٠.١ متر، وجهه بلا تفاصيل، وجسمه يبدو رياضيًّا، وأكثر ما يلفت النظر إليه هو أنه يحمل فى كل يد شيئًا يصل طوله إلى ٧٣ مترًا.

لا يعرف العلماء شيئًا عن أصل ذلك الإنسان، فهو لم يرد فى المراجع التى صدرت قبل عام ١٧٩٩. وفى رسم تخطيطى له تم عام ١٧٩٩، ظهر الرجل الطويل وفى يده اليمنى (مدمّة) وهى أداة ذات أسنان كالمشط تستخدم فى جمع العشب وتقليب التربة ويحمل فى يده اليسرى مِنجلاً، كفلاح يستعد للمضى إلى حقله، غير أن هذه التفاصيل لا تظهر لمن يشاهد ذلك الإنسان حاليًّا.

ولا شك أن هيئة الرجل وتفاصيل الرسم قد تغيرت على مر السنين، وخاصة بعد عملية الترميم التى أجريت عام ١٨٧٤، عندما قام المرممون بوضع إطار مستطيل الشكل من الطوب حوله؛ لحمايته، وقد احتاج ذلك الإطار إلى سبعة آلاف قالب من الطوب.

ومن بين من تصدُّوا للبحث عن آثار المعالم المطموسة الأستاذ ك. جرافيت، من جمعية ساكس الأثرية، واعتمد فى بحثه على أجهزة تقيس مقاومة التربة للتيار الكهربائى، وقد أثبتت الأجهزة وجود رسوم سابقة فى نهاية كل عصا، بل أثبتت وجود شىء فوق رأس الرجل، ومع المزيد من البحث أمكن رسم شكل سلاح المنجل، كما ظهرت أسنان «المدمّة».

ومع كل هذه الدراسات والتجارب، بقى لغز الرجل الطويل بلا حل.

وإذا كانت جهود الباحثين الإنجليز لم تكلل بالنجاح، فإن حال العلماء الأمريكيين لم يكن أفضل بالنسبة للرسوم والأشكال الموجودة فى بلايث بكاليفورنيا، على أى حال، هى لم تكتشف إلا منذ حوالى خمسين سنة فقط. يقول رئيس البعثة الكشفية التى أوفدتها الجمعية الجغرافية العالِم الإنثروبولوجى المتخصص فى أصل الجنس البشرى وتطوره وعاداته ومعتقداته فرانك سيزلار: «وجود الحيوانات ذات الأرجل الأربع التى تشبه الخيل يمكن أن يحدد تاريخ إنجاز هذه الرسوم.. وجود الخيل يعنى أن هذه الرسوم إما أن تكون قديمة جدًّا أو حديثة نسبيا!». وتفسير هذا اللغز أن هذا الحصان الأمريكى انقرض منذ عشرة آلاف سنة ولم يدخل الحصان مرة ثانية إلا بعد عام ١٥٤٠، على يد الإسبان.

ونظرًا للتآكل القليل فى تلك الرسوم، فقد مال سيزلار إلى القول بحداثة الأشكال. ومن الفلكلور الهندى، عثر على أسطورة تدور حول طفلة تدعى «ها أك» بلغت الثالثة أو الرابعة من عمرها،

ويدأت بعد ذلك تلتهم باقي الأطفال! حاول الهنود القدماء قتلها دون نجاح، إلى أن قضى عليها «الأخ الأكبر» الذى يقال إن شكله كان غريبًا، وقد عثر سيزلار على ضريح فى أريزونا، فيه تصوير للطفلة «ها أك» المهزومة على يد الأخ الأكبر العملاق. ومن ذلك استنتج سيزلار أن الرسم تم ما بين عامى ١٥٤٠ و ١٨٥٠.

ومع ذلك، فلم يساند أحد آخر هذا التفسير الذى توصل إليه سيزلار.

خطوط نازكا المستقيمة:

وصحراء نازكا فى بيرو يوجد بها المزيد من الرسوم والأشكال والتى تتسم بالمزيد من الغموض. كان أول من قام بدراسة تفصيلية لهذه الرسوم؛ العالم الأمريكى دكتور كوسوك؛ أستاذ الزراعة فى جامعة لونج أيلاند، كان قد سمع عن خطوط نازكا عام ١٩٤٠، عندما كان يجرى بحثًا فى المنطقة حول وسائل الرى القديمة.. وعندما شاهد الخطوط كانت دهشته كبيرة؛ آلاف الخطوط الممتدة عبر الصحراء، تعبر بعضها قمم الصخور، ويمتد بعضها الآخر بنفس الاستقامة الكاملة لعدة كيلومترات عبر الجبال.. بالإضافة إلى الأشكال الهندسية العملاقة التى تتراوح ما بين المثلث والمستطيل وشبه المنحرف، وقد تم رسم هذا كله بإزالة الطبقة العلوية من أحجار الصحراء البنية الداكنة؛ مما كشف التربة الأكثر بياضًا من تحتها.

بدأ كوسوك فى تعقّب الخطوط على الأرض، ثم حلّق فوقها بالطائرة.. وعندها فقط أدرك الأبعاد الحقيقية للظاهرة التى تصدى لدراستها. وإلى جانب الخطوط المستقيمة، اكتشف رسومًا على شكل طائر أو سمكة أو قرد. والغريب أن جميع هذه الرسوم كانت مرسومة بخط واحد لا ينقطع، يبدأ عند نقطة معينة وينتهى عند نفس النقطة.

فى نهاية أربعينيات القرن الماضى، انضمت إلى كوسوك فى عمله عالمة ألمانية متخصصة فى الرياضيات والفلك هى ماريا رايخ، كانت قد وصلت إلى نازكا للبحث فى أحد الاحتمالات التى قال بها كوسوك وهو أن الخطوط تتبع نسقًا فلكيًّا فى ترتيبها، كانت هذه الفكرة قد هبطت عليه عندما كان مع زوجته عصر ذات يوم فرأى الشمس تغرب عند نهاية أحد الخطوط بالضبط، وكان ذلك فى يوم ٢٢ يوليو، وهو يوم الانقلاب الشتوى فى نصف الكرة الجنوبى.

حاول كوسوك بمعونة الألمانية ماريا رايخ أن يبحث احتمال كون هذه الخطوط تمثل نوعًا من التقويم، اعتمد عليه الفلاحون القدماء فى زراعة محاصيلهم غير أنه توفى عام ١٩٥٩، فواصلت ماريا العمل مكرسة حياتها لدراسة تلك الخطوط.

وفى ١٩٦٨، وصل الأستاذ هاوكنز إلى نازكا؛ ليبحث احتمالات التفسير الفلكى للخطوط، والأستاذ هاوكنز عالم فلكى أمريكى كان أول من استخدم الكمبيوتر فى بحث أسرار دوائر الأحجار العملاقة فى إنجلترا. فى البداية، طلب هاوكنز من الكمبيوتر أن يحدد عدد

الخطوط التى يمكن أن ترتبط بحركة الشمس أو القمر، فكان ٣٩ خطًا من ١٨٦ خطًا هى مجموع العينة التى عمل عليها. ثم انتقل إلى النجوم، فقام بتغذية الكمبيوتر بقوائم مواقع النجوم منذ عام ١٠٠٠١ قبل الميلاد وحتى وقت إجراء التجربة.. وهنا أيضًا وجد أن عدد الخطوط التى يمكن أن يحمل دلالة فلكية أقل من أن يساند النظرية التى فكر فيها كوسوك.

ما فعله هاوكنز هو استبعاد علمى لفكرة ارتباط الخطوط بالفلك.

تراها الآلهة وليس البشر:

وفيما عدا ماريا رايخ، لم يدرس خطوط نازكا دراسة علمية جادة سوى المستكشف الإنجليزى، ومنتج الأفلام تونى موريسون، الذى زار المنطقة عدة مرات منذ عام ١٩٦١، وكانت رحلاته الطويلة فى جنوب أمريكا قد زودته برؤية عميقة لفلسفة وسيكولوچية تلك البلاد، وقد توصل إلى نظرية تفيد بأن الغرض من هذه الرسوم دينى فى أساسه، وقد اعتمد فى هذا على الوثائق القديمة، والمعلومات التى استقاها من سكان جبال الأنديز.

من هذين المصدرين، عرف بوجود أضرحة تقليدية منتشرة على جوانب الطرق فى صحراء نازكا، ويطلقون على تلك الأضرحة اسم «واكاس» وهى لا تزيد عن أكوام من الحجارة، تصل بينها طرق يطلقون عليها «سيكيس»، تكون أحيانًا مادية مرسومة وأحيانًا تخيلية، ويعتقد موريسون أن خطوط نازكا هى هذه الطرق. أمَّا لماذا قام القدماء برسم

هذه الأشكال من الكبر – كبر الحجم – بحيث لا ترى إلا من الجو، فيقول موريسون إنها رسمت لكى تراها الآلهة وليس البشر.

غير أن ماريا رايخ ترى أن الإنجاز الأكبر فى هذه الرسوم، ليس الجهد الجسمانى المبذول فى رسمها، ولكنه الدقة فى التصميم والتنفيذ، واستطاعت أن تستنبط وحدة القياس الطولية التى اعتمدوا عليها، فوجدتها ٠.٦٦ من السنتيمتر، وتقول إن هذه الوحدة الصغيرة ساعدتهم على دقة تنفيذ العمل، وهى ترى أن سكان بيرو القدماء كان لديهم الأدوات والأجهزة التى أتاحت لهم إنجاز هذه الأعمال الضخمة.. أما أين هى هذه الأدوات؟ فلم تستطع أن تقدم تفسيرًا مقنعًا.

قالت ماريا رايخ: «إن ما يترك أقوى انطباع، هو الحجم الهائل لهذه الرسوم الأرضية، مقرونًا بالقدرة العالية على الاحتفاظ بكمال النسب ودقتها.. أما كيف استطاعوا أن ينجزوا رسوم الحيوانات، بتخطيطها الجميل ومنحنياتها الرشيقة، ونسبها المتوازنة؟ فهذا من الأسرار التى تحتاج فى تفسيرها إلى سنين، هذا إذا كان من الممكن أصلاً تفسيرها!».

هل طاروا؟!

فى حديث ماريا عن هذه الأشكال، جاء قولها: «ما لم يكونوا قد توصلوا إلى القدرة على الطيران»؛ هذه العبارة بالذات هى التى تصدى لبحثها وإثباتها بيل سبورار، الأمريكى المقيم فى بيرو، وعضو الجمعية الدولية للمستكشفين.

من المعروف أن الذين رسموا تلك الأشكال، ينتسبون إلى حضارتين امتدت نهاية إحداهما إلى بعد بداية الأخرى، هما (الباركاس) و (النازكا)، وقد عاش أهل الحضارتين حياة زراعية بسيطة، ومع ذلك فقد حققوا إنجازين لكلٍّ دلالته الخاصة فى موضوع بحثنا، هما النسيج وزخرفة الأوانى الفخارية اللذان عكف سبورار على دراستهما.

لقد تم اختبار أربع قطع من نسيج شعب نازكا تحت الميكروسكوب، فظهر مدى ما فيه من دقة الحبك، لا يرقى إليها صنّاع قماش مظلات الهبوط حاليًّا وأكثر تحملاً من القماش الذى تصنع منه حاليًّا بالونات الهواء الساخن المستخدمة فى اختبارات الطقس. ومن ناحية أخرى، كانت الرسوم التى على الأوانى الفخارية يصور بعضها بالونات وطائرات تحلق وقد تركت خلفها ذيولا من الخطوط من هذين المنطلقين، بدأ سبورار باحتمال معرفة أبناء تلك الحضارة الزراعية بعض حقائق الطيران!

خلال البحث، اكتشف أسطورة قديمة كانت شائعة بين شعب الإنكا عن صبى يُدعى أنتاركى، ساعد شعب الإنكا فى معركة من معاركه؛ بالطيران فوق خطوط الأعداء، ثم العودة لإبلاغ شعب الإنكا بمواقع قوات العدو، وتفاصيل ترتيبها، كما اكتشف سبورار أن العديد من منسوجات نازكا المرسومة، تظهر فيها صور رجال يطيرون.. هذا بالإضافة إلى ما كانت تفعله القبائل الهندية فى الأماكن النائية من أمريكا الوسطى والجنوبية؛ من إطلاق بالونات الهواء الساخن فى احتفالاتهم الدينية.. ومن

العجيب، أن تجيء أول محاولة حديثة للطيران ببالون الهواء الساخن عام ١٧٠٩ فى لشبونة على يد قسيس برازيلى من أمريكا الجنوبية، وأنها سبقت بسبعين سنة محاولة الإخوة مونتجولفييه فى فرنسا التى يؤرّخ بها للطيران بالبالون.

أما الدليل الأخير الذى توصل إليه سبورار، فقد عثر عليه عند نهاية بعض الخطوط المستقيمة الطويلة بصحراء نازكا، وكان عبارة عن مساحات دائرية يصل قطر الواحدة منها عشرة أمتار، تحتوى على صخور سوداء محترقة. قام بفحص هذه المحروقات، بمساعدة بعض أعضاء الجمعية الدولية للمستكشفين، فاكتشفوا أنها اكتسبت اللون الأسود؛ نتيجة لتعرضها لدرجات حرارة عالية، واستنتج سبورار أن هذه الأحجار المتفحمة، ربما ترجع إلى النار التى أشعلها أهل نازكا القدماء لتسخين الهواء داخل البالون، قبل إطلاقه فى الجو.

وودمان، ومغامرة بالبالون:

أما الرجل الذى أثبت عمليًا قدرة هنود نازكا على الطيران، وخاطر بحياته فى سبيل ذلك، فهو جيم وودمان الذى كان يعمل ككاتب وناشر فى ميامى.. مغامر من الطراز القديم، يتمتع بخيال فى مستوى توهّج حماسه. كان وودمان قد أمضى الكثير من حياته فى أمريكا الجنوبية، وفى عام ١٩٧٣ قرر أن يبحث موضوع خطوط نازكا.. فعندما طار فوقها بطائرة صغيرة، قام بتثبيت مؤشر البوصلة على أحد خطوط نازكا، وتابع الطيران فى ذلك الاتجاه لمسافة لا تقل عن عشرة كيلومترات، فوجد أن الخط

لم ينحرف ولو بقدر بسيط حتى عندما كانت الخطوط تمتد فوق سلسلة من الجبال.. ومن هنا اقتنع بأن أهل نازكا القدماء، من الهنود الحمر، لم يكن بإمكانهم رسم تلك الخطوط دون معرفة بالطيران.

قام وودمان بصناعة بالونه الخاص (كوندورا) من القماش والحبال معتمدًا على نماذج النسيج التى كانت تستخدم فى تكفين أجساد الموتى، والتى استخرجت من قبورهم.. أما مركبة البالون فقد صنعها من القصب أو الغاب الموجود فى بحيرة تيتيكاكا على الحدود ما بين بيرو وبوليفيا.

فى فجر يوم ٢٨ نوفمبر من عام ١٩٧٥، ارتفع كوندورا فى السماء الزرقاء الصافية فوق نازكا، وكان وودمان يجلس فى مركبته مع طيار البالونات الجسور جوليان نوت.. ونجحت التجربة التى أوقفاها عندما بلغ ارتفاع البالون ٩٠ مترًا.

واليوم تعتبر نظرية الاعتماد على البالون من أقوى النظريات المطروحة لتفسير الطريقة التى رسمت بها تلك الرسوم العملاقة.

وخطوط نازكا ليست الرسوم العملاقة الوحيدة فى أمريكا الجنوبية.. فعندما هبط الإسبان لأول مرة من سفنهم إلى شاطئ بيرو، شاهدوا شمعدانًا ضخمًا متعدد الشعب محفورًا على الجبل؛ بحيث يمكن رؤيته من خليج بيسكو.. وبعد تجربة البالون، سمع وودمان عن جبل فى جنوب نازكا، وبالتحديد فى صحراء

(آتاكاما بشيلى) تغطيه خطوط يبرز وسطها رسم على هيئة رجل عملاق، ورأى صورًا غير واضحة المعالم له، التقطها جنرال من السلاح الجوى الشيلى.

تحمس وودمان فى صيف ١٩٧٩، وطار فوق صحراء آتاكاما التى يقال إنها لم تستقبل نقطة مطر واحدة خلال التاريخ المدوّن! وفى طريقه إلى تلك الصحراء، عرج على الشاطئ الباسيفيكى؛ ليرى رسوم محاربين يبلغ طول الواحد منهم ٩٠ مترًا، فى مواجهة البحر، فوق جبل ممتلئ بالأشكال والرموز المرسومة بالأحجار، تصوّر قوافل من حيوان اللاما، وكاندور النسر الأمريكى الضخم، وأشكالاً حلزونية ودوائر.. ورجلاً يطير.. وعندما وصل وودمان آخر الأمر إلى جبل سيرا أونيكا (أى الجبل الوحيد) فى صحراء آتاكاما، شاهد على سفح الجبل عملاق آتاكاما الذى يبلغ طوله ١٢٠ مترًا.. يضع تاجًا على رأسه ويداه على شكل رءوس السهام يرتدى حذاء فى قدميه. والعملاق محاط بخليط كبير مركب من الخطوط والممرات.

وسواء أكانت هناك صلة بين هذا العملاق، والرسوم الموجودة فى نازكا أم لا، فالتساؤل الأساسى يبقى على حاله دون إجابة مقنعة: ما الذى دفع هؤلاء القوم إلى إنجاز هذه الرسوم العملاقة، فوق معالم بلادهم الطبيعية؟ واليوم، عندما يسأل الناس وودمان مثل هذا السؤال فإنه يجيب منفعلاً: «فَلْتَحِقَّ علىَّ اللعنة إذا كنت أعرف تفسيرًا لهذا!!

مثلث برمودا..
الرعب فى البحر والجو!

اكتسب«مثلث برمودا» اسمه نتيجة لاختفاء ست طائرات من السلاح البحرى الأمريكى.. اختفت بطواقمها فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٤٥.. الطائرات الخمس الأولى التى اختفت كانت فى مهمة تدريبية وفق خطة تتضمن التحليق بخط سير على شكل مثلث يبدأ من القاعدة البحرية فى فورت لاودرديل بفلوريدا، ثم ١٦٠ ميلاً شرقًا، و٤٠ ميلاً شمالاً، ثم العودة إلى القاعدة.

تمت المهمة التدريبية بنجاح، وعندما كان من المفترض أن تبدأ رحلة العودة فى الثالثة والربع عصرًا، تلقى برج مطار القاعدة هذه الرسالة من قائد العملية الملازم أول تشارلز تايلور، التى بدأت كالتالى:

تايلور: أنادى البرج.. هذه حالة طوارئ.. يبدو أننا خرجنا عن المسار المرسوم.. نحن لا نرى اليابسة.. أكرر.. نحن لا نرى اليابسة.

البرج: ما موقعكم؟

تايلور: لسنا متأكدين من موقعنا. لا نعرف بالتحديد أين نحن.. يبدو أننا ضللنا..

البرج: المفروض أن تتجه غربًا.

تـايـلـور: نـحـن لا نـعرف أيـن هـو الـغرب.. شيء غريب.. لسنـا متأكدين من أى اتجـاه.. حتى المحيط لا يبدو كما يجب أن يكون..

فى الساعة الثالثة والنصف، التقط كبير مدربى الطيران فى قاعدة فورت لاودرديل على جهاز اللاسلكى الخاص به رسالة من شخص يدعى باورن، وهو أحد طلبة الطيران، يقول: «لا أعرف أين نحن.. يبدو أننا ضللنا المسار بعد آخر دوران..»، ومن الاتصالات المتقطعة بالطائرات، وبين الطائرات وبعضها، أدرك كبير المدربين أن جميع بوصلات الطائرات قد فقدت وظائفها.

تصاعد لغط العاملين فى القاعدة، عندما تردد خبر حالة الطوارئ التى تمر بها الطائرات الخمس.. وتعددت التعليقات، كأن يكون ما حدث هو هجوم غير متوقع من العدو (رغم أن الحرب العالمية الثانية كانت قد انتهت قبل ذلك بعدة شهور) أو اشتباك مع عدو جديد.

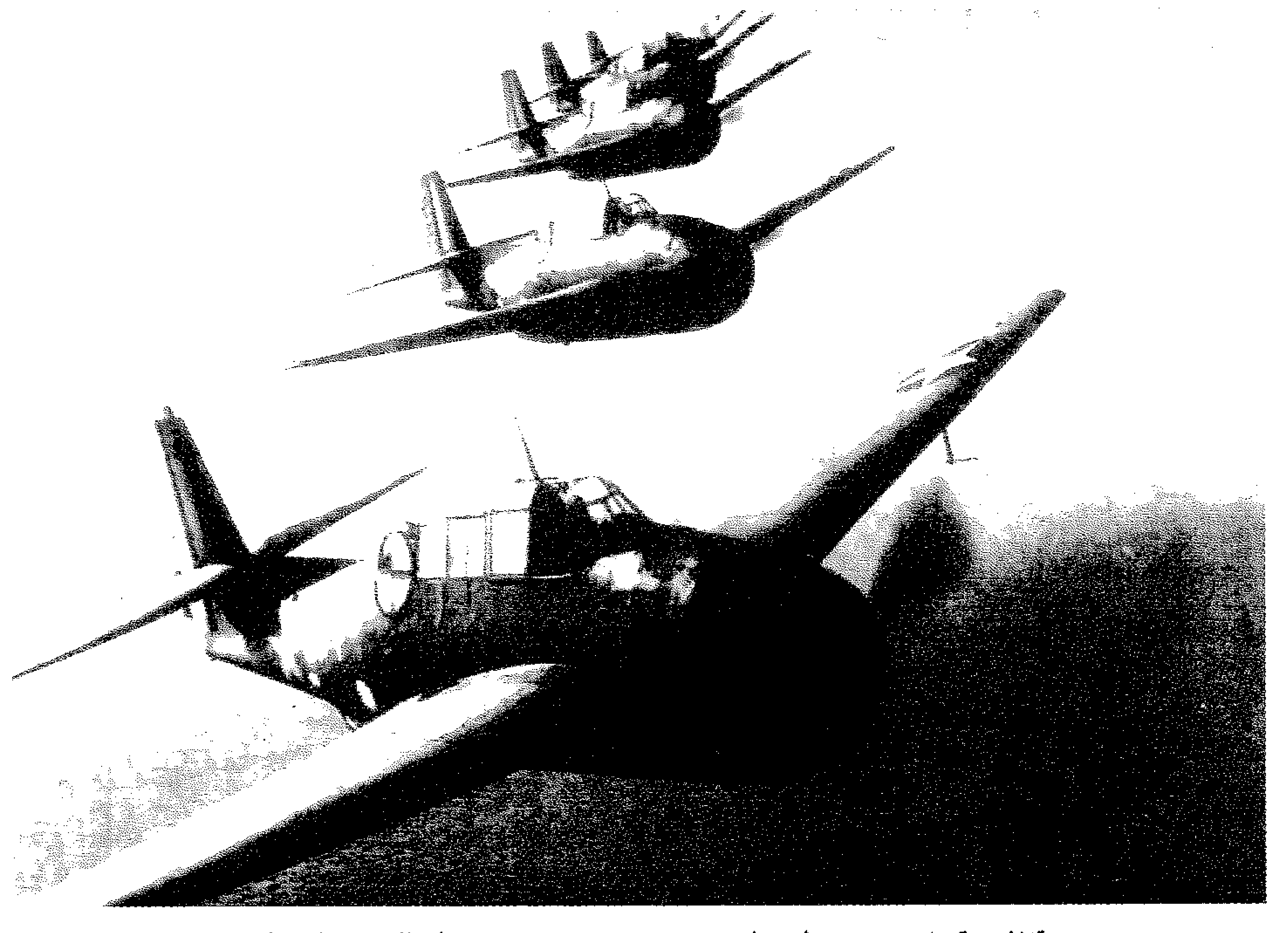
أقلعت على الفور طائرة إنقاذ، من قاعدة «بنانا ريفر» طراز مارتن مارينر ذات محركين يتكون طاقمها من ١٣ فردًا. بعد إقلاع طائرة الإنقاذ بدقائق، تلقى برج المطار رسالة من الملازم أول كوم، أحد ضباط الطائرة، بوجود رياح غاية فى الشدة.. وكان هذا آخر ما وصل من طائرة الإنقاذ!

وهكذا تم تغيير الرسالة التى تبثها وحدات الإنقاذ: إن عدد الطائرات المفقودة لم يعد خمسًا بل ست طائرات.. لقد اختفت أيضًا طائرة الإنقاذ بطاقمها البالغ ١٣فردًا.

بدأت حملات البحث المكثف بعد أول ضوء لليوم التالى، قامت بها ٢٤٠ طائرة من القواعد الجوية القريبة، بالإضافة إلى ٦٧ طائرة، تابعة لحاملة الطائرات «سولومان»، كذلك شارك فى حملة البحث أربع مدمرات، والعديد من الغواصات، وقوارب حرس السواحل، واليخوت والقوارب الخاصة.. لكن لم يحدث أن عثر أحد على أثر للطائرات المفقودة فى مثلث الرعب.

وفى نفس الوقت، تشكلت فرق الدراسة والبحث والتحقيق دون الوصول إلى خيط، ولو ضعيفًا، يساعد على فهم سر ذلك الاختفاء الغريب؛ مما دفع أحد أفراد هيئة المحققين إلى القول: «لقد اختفوا تمامًا، كما لو أنهم قد طاروا إلى المريخ!»، وهو بهذا قد قام بأول خطوة فى طريق التفسير الذى حظى بحماس الكثيرين، والذى كان متأثرًا بما كان يسود من حديث فى ذلك الوقت حول الأطباق الطائرة القادمة من الكواكب الأخرى!

وهناك حقيقة غابت عن المحققين، ولم تبدُ جديرة بالانتباه وسط دوامة الحدث الدراماتيكى لاختفاء الطائرات الست، جاءت على لسان أحد الضباط، وهو ر. ويرشينج الذى كان ملازمًا فى قاعدة فورت لاودرديل التى انطلقت منها الطائرات الخمس الأولى فهو يتذكر طيرانًا تدريبيًّا تم فى صباح ذلك اليوم واتسم أيضًا بشىء غريب لم ينتبه إليه الدارسون. فى ذلك الطيران التدريبى الصباحى أبلغ الطيارون عن خلل غير طبيعى أصاب أجهزة البوصلة، وبدلاً من العودة إلى القاعدة، كما كان مفترضًا هبطت الطائرات على بعد ٥٠ ميلاً شمالاً.



خمس قاذفات قنابل من نفس طراز التى اختفت عام ١٩٥٥ عند شاطئ فلوريدا، فى مثلث برمودا

كذلك، ظهر عنصر غير عادى آخر فى غموض الرحلة المشئومة.. ففى عام ١٩٧٤، قدم آرت فورد الصحفى والكاتب والمحاضر، برنامجًا تلفزيونيًا بعد ٢٩ سنة من الواقعة، يكشف فيه عن معلومة هامة، وهى أن الملازم أول تايلور، قائد السرب، من خلال الاتصال اللاسلكى مع القاعدة الأرضية «لا تتعقبونى.. يبدو عليهم أنهم من الفضاء الخارجى...»؛ كان فورد قد حصل على هذه المعلومة من شاب من هواة الاتصال اللاسلكى فى يوم الواقعة، لكنه لم يعطها مصداقية كبيرة فى ذلك الوقت، آخذًا فى اعتباره عدم خبرة الشاب، وصعوبة اتصال أجهزة الهواة بطائرة متحركة، واحتمال تأثره بالشائعات والروايات التى شاعت فى ذلك الوقت.

الكريسماس .. هو الموعد المفضل!

مع تكرار وقائع الاختفاء فى إطار مثلث برمودا، تبلورت بعض الملابسات المحذرة، فمعظم الوقائع تحدث فى أوج موسم السياحة والفنادق! من نوفمبر وحتى فبراير والأكثر إدهاشًا هو أن حوادث الاختفاء كانت قبل وبعد الكريسماس بأسابيع قليلة.

طائرة «ستار تايجر» التى أقلعت من الأزور متجهة إلى جزيرة برمودا اختفت يوم ٢٩ يناير عام ١٩٤٨، كان طاقمها مكونًا من ستة أفراد، وتنقل ٢٥ راكبًا، من بينهم سير آرثر كونينجهام أحد أهم مارشالات بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية، والقائد السابق للوحدة التكتيكية الثانية فى سلاح الطيران الملكى البريطانى، كان المفروض أن تهبط «ستار تايجر» فى كايندلى

فيلد، ببرمودا، فى العاشرة والنصف.. وقبل ذلك الموعد بقليل، أرسل الطيار رسالة لاسلكية لبرج التحكم فى المطار، يقول فيها:

«الطقس والأداء ممتازان .. من المنتظر أن نصل فى الموعد المحدد».

كانت الطائرة عند بث تلك الرسالة على بعد ٣٨٠ ميلاً شمال شرق برمودا ولم تكن هناك رسائل تالية، ومع ذلك لم تصل «ستار تايجر»، وعندما انتصف الليل اعتبرت الطائرة مفقودة، وعلى وجه السرعة بدأت عمليات البحث والإنقاذ: ٣٠ طائرة وعشر سفن مسحت المنطقة لعدة أيام، دون الوصول إلى أى نتيجة.

وتشكلت فرقة تحقيقات تحت قيادة لورد ماكميلان؛ للبحث عن سر اختفاء الطائرة وقد أعلنت المحكمة نتائج التحقيقات بعد ثمانية أشهر من اختفاء الطائرة، بكلمات تصلح لتصوير جميع الطائرات التى اختفت بشكل عجيب فى مثلث برمودا وليس فقط اختفاء «ستار تايجر»، جاء فيها:

«يمكن القول بأنه لم يتيسر لنا الوصول إلى أى مشكلة يمكن التحقيق فيها.. وفى الغياب الكامل لأى دليل يمكن الاعتماد عليه وغياب أى معلومات عن طبيعة ومسبب كارثة (ستار تايجر) لا تجد المحكمة أمامها ما تفعله أكثر من أن تقترح إمكانيات لم يرق أى منها إلى مستوى الاحتمال!».

كارثة الطائرة الشقيقة!

بعد ١٢ يومًا من الذكرى الأولى لاختفاء «ستار تايجر» اختفت شقيقتها الطائرة «ستار آريال».. كانت ستار آريال تحمل طاقمًا مكونًا من سبعة أفراد، بالإضافة إلى ١٣ راكبًا، وقد

اختفت أثناء رحلتها الجوية من برمودا وجامايكا فى ١٧ يناير ١٩٤٩، كان خط سيرها يمتد من لندن إلى سانتياجو فى شيلى.. وكان توقفها فى برمودا للتزود بالوقود.. وعندما تركت ستار آريال مطار برمودا فى الثامنة إلا الربع صباحًا، كان البحر هادئًا، وكانت الظروف الجوية ممتازة.

عندما انقطع الاتصال مع الطائرة، بدأ البحث عنها وكانت هناك عدة قطع بحرية أمريكية تشترك فى مناورة ما فى المنطقة، فأطلقت حاملتان للطائرات طائراتهما؛ لتشارك فى مهمة الإنقاذ التى يقوم بها حرس السواحل، وانضمت إلى ذلك كله طائرات بريطانية منطلقة من برمودا وجامايكا.. لقد شاركت فى مسح المنطقة ٧٢ طائرة، غطت فى بحثها ١٥٠ ألف ميل مربع من المحيط على أمل العثور على أى شىء من مخلفات الطائرة المختفية.

تتابعت حوادث اختفاء الطائرات فى خمسينيات القرن الماضى، وكلها فوق مثلث برمودا.. وفيما يلى بعض الوقائع باختصار شديد:

- فى مارس ١٩٥٠، اختفت الطائرة الأمريكية جلوب ماستر فى النهاية الشمالية للمثلث بينما كانت متجهة إلى أيرلندا.
- ٢ فبراير ١٩٥٢، اختفت «يورك» البريطانية وعليها ٣٣ راكبًا عند الطرف الشمالى للمثلث وهى فى طريقها إلى جامايكا.

■ ٣٠ أكتوبر ١٩٥٤، اختفت الطائرة الأمريكية «نافى كونستلاشن» حاملة ٤٢ راكبًا وطاقمها، وهى فى طريقها من مطار القاعدة البحرية فى باتوكسنت ريفر متجهة إلى الأزور خلال طقس لطيف، وهنا أيضًا فشلت جهود البحث عن أى أثر التى قامت بها ٢٠٠ طائرة وعدة سفن.

■ ٥ إبريل ١٩٥٦، اختفت الطائرة الحربية بى – ٢٥ التى تم تجهيزها لتعمل فى نقل البضائع مدنيًّا، اختفت بطاقمها المكون من ثلاثة فى منطقة لسان المحيط فى البهاماس.

■ فى ٩ نوفمبر ١٩٥٦، اختفت الطائرة التابعة للبحرية الأمريكية «مارتن مارلين» ناحية برمودا، أثناء قيامها بواجبات التفتيش الروتينية الموكلة إليه، وعليها طاقم مكون من عشرة أفراد.

■ وفى ٨ يناير ١٩٦٢، اختفت طائرة تابعة للقوات الجوية الأمريكية، كانت منطلقة من قاعدة لانجلى بفرجينيا، متجهة إلى الأزور.

القائمة طويلة جدًّا، غير أن الأهم من تعداد الوقائع هو محاولة فهم الظاهرة.

إيفان ساندرسون أحد أهم الذين درسوا الموضوع يجيب عن الذين ينكرون غرابة الوقائع بقوله: «عدد وقائع الاختفاء، يتجاوز كثيرًا جدًّا جميع النسب المسجلة لخسائر الطائرات فى أى مكان آخر..».

أما ديل تيتلار، فيقول فى كتابه عن الظاهرة (أجنحة الغموض) إن كل تلك الطائرات كان يقودها رجال طيران ذوو خبرة، ويوجهونها ملاحون مدربون.. وكانت كلها مزودة بوسائل الاتصال اللاسلكى ووسائل النجاة.. وكلها اختفت من الوجود فى طقس جيد وهو يضيف ملاحظة لم يسبق لأحد أن انتبه إليها وهى أن جميع تلك الطائرات تقريبًا اختفت نهارًا.

كما يؤكد روبرت بيرجس، الباحث والكاتب، عدم إرجاع الأمر إلى المصادفة بقوله: «هناك من الأسباب ما يجعلنا نؤمن بوجود مؤثرات أكبر من مجرد المصادفة فى هذه الحوادث الغامضة».

ويشير دكتور مانسون فالانتين إلى مسألة هامة، عندما يقول: إن تحليل جميع المعلومات المتاحة يؤكد أن الثوانى السبع أو الثمانى الأخيرة من الطيران كانت الطائرة تندفع إلى المحيط بسرعة عالية للغاية وغير مسبوقة؛ مما جعل من المستحيل على برج المراقبة فى ميامى، أو على الطيار، مراجعة الموقف أو إجراء أى تصحيح.. هذه السرعة الخرافية فى السقوط لا يمكن إرجاعها إلى خلل فى جهاز القيادة الآلية أو إلى خبرة الطيار.. لابد من وجود سبب فى المجال المحيط بالطائرة، والأرجح أن يكون نوعًا غريبًا من قوة جاذبة غير معروفة. ولكن دعونا نرجئ البحث فى نظريات التفسير بعد أن ننتهى من الشق الثانى للظاهرة.. نعنى بذلك ظاهرة الاختفاء المريب للسفن فى مثلث برمودا!

سارجاسّو..
بحر السفن المفقودة!

جرت حوادث اختفاء السفن داخل مثلث برمودا، فى منطقة غرب المحيط الأطلنطى، المعروفة باسم (بحر سارجاسّو) الذى اكتسب اسمه من الأعشاب البحرية التى يطلق عليها (سارجاسّام) وكأنما كان مثلث برمودا ينقصه الغموض ليضاف إليه الجديد من بحر سارجاسّو الذى كانت تحوطه الأسرار عندما وصل إليه البحارة الإسبان والبرتغاليون، منذ ما يزيد على ٥٠٠ سنة.

مساحة بحر سارجاسّو كبيرة للغاية شمال غرب المحيط الأطلنطى، يتميز بما يعوم على سطحه من أعشاب بحرية كثيفة، وعندما شاهد كولومبوس هذه الأعشاب فى رحلته الأولى، ظنَّ خطأً أنهم على مقربة من اليابسة رغم تشكك من معه من بحّارة.

الأسطورة الأولى لبحر سارجاسو صدرت عن بحارة فينيقيا وقرطاجنة الذين عبروا ذلك البحر منذ آلاف السنين وهبطوا على شواطئ القارة الأمريكية، والدليل على ذلك النقوش الحجرية الفينيقية التى عثر عليها فى البرازيل وعثر على البعض الآخر فى الولايات المتحدة، كذلك العملات الفينيقية التى عثر عليها المستكشفون فى الأزور، ثم فى فنزويلا.

وتقرير هيميلكو، أدميرال قرطاجنة الذى كتبه عام ٥٠٠ قبل الميلاد يشير إلى أعشاب بحر سارجاسو وسكون الريح فيه. يقول:

«لا نسيم يدفع السفينة، كانت الريح الخامدة فى حالة موات فوق سطح البحر العجيب.. هناك الكثير من الأعشاب بين الأمواج، تحول دون حركة السفينة.. لم يكن للبحر عمق كبير، كان القاع تغطيه المياه بالكاد.. وكانت وحوش البحر تتحرك بشكل مستمر حول السفينة..».

كان اختفاء السفن فى هذا البحر شائعًا فى الأزمان القديمة، ولكن كان الكثيرون يرجعون ذلك إلى حروب القراصنة، وإلى ضعف إمكانيات السفن.. لكن، بعد انقضاء القرصنة فى ذلك المحيط، ظل اختفاء السفن متكررًا فى منطقة بحر ساراجاسو، داخل مثلث برمودا حتى فى الظروف الجوية المواتية، كما لم يحدث أن عثر أحد على حطام أى من تلك السفن أو شاهدها أحد عند جزر وشواطئ غرب الأطلنطى.. بدأ تسجيل وقائع الاختفاء التى انصبت على سفن الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٨٠٠؛ فقد اختفت السفينة « إنسيرجنت» فى أغسطس ١٨٠٠ وعليها ٣٤٠ شخصًا.

ومن بين وقائع اختفاء السفن غير المفسرة ما حدث للسفينة الأمريكية «بيكرينج» التى اختفت فى ٢٠ أغسطس ١٨٠٠ وعليها ٩٠ بحارًا، وكانت فى طريقها من نيوكاسل، ديلاور، إلى جواديلوب فى جزر الهند الغربية.

وقريب من ذلك الزمن، اختفت السفينة الأمريكية «واسب» فى ٩ أكتوبر ١٨١٤ التى كانت تبحر فى الكاريبى وعليها طاقم مكون من ١٤٠.

وفى يناير ١٨٨٠، اختفت السفينة «أتلانتا» التابعة للبحرية البريطانية، وهى فى طريقها من برمودا إلى إنجلترا، بمن عليها من متدربين بحريين كان عددهم ٢٩٠ فردًا ولم يعثر أحد على السفينة رغم حملة التفتيش والمسح الواسعة التى قامت بها البحرية البريطانية والتى تواصلت حتى أوائل مايو!

فيلم مغامرة بوسيدون:

فى طريق العودة من بربادوس إلى نورفولك بفرجينيا، اختفت فى ٤ مارس ١٩١٨ الباخرة التابعة للبحرية الأمريكية «سايكلوبس». ومن بين جميع حوادث الاختفاء الغريبة والغامضة، تتضمن واقعة اختفاء «سيكلوبس» جميع عناصر سيناريو الغموض والمغامرة، ومن بين النظريات التى طرحت لذلك الاختفاء بنيت فكرة سيناريو فيلم (مغامرة بوسيدون) عام ١٩٧٣.

فى تقرير البحرية الرسمى حول اختفاء سايكلوبس، جاء التالى: «منذ أن بدأت حركتها من باربادوس فى ٤ مارس ١٩١٨، لم يتم العثور على أى أثر لها، لقد كان اختفاء السفينة من أكثر الألغاز المحيرة فى تاريخ البحرية.. لم تنجح جميع الجهود التى بذلت لرصدها.. ولم تكن النظريات التى طرحت لاختفائها مقبولة رغم كثرتها..».



السفينة الأمريكية سايكلوبس التي اختفت في مثلث برمودا وعليها ٣٠٩ بحارين في ٤ مارس ١٩١٨

وحظيت السفينة سايكلوبس باهتمام كبير فى الكونجرس الأمريكى؛ لأنها اختفت وهى تحمل شحنة كبيرة من خام المنجنيز الذى كان يعتبر عنصرًا هامًّا فى إنتاج الصلب الذى يستخدم فى الأسلحة والعتاد الحربى.. وقد شعر أعضاء الكونجرس بأهمية وجود مخزون كاف من هذه المادة وأهمية البحث عن وسائل أكثر أمنًا فى نقله.

قائمة السفن التى اختفت أو وجدت مهجورة فى منطقة مثلث برمودا، منذ ١٨٠٠ وحتى ١٩٨٠، طويلة ووقائعها متكررة، مما قد يكون مملاً، وكما فعلنا فى الطائرات المختفية، نرصد فيما يلى بعض الوقائع ذات الدلالة فى هذه الظاهرة:

■ فى عام ١٩٢٥، اختفت السفينة «كوتوياكسى» وهى فى طريقها من تشارلستون إلى هافانا.

■ فى مارس ١٩٣٢، أرسلت الشاحنة «أنجلو استراليان» آخر رسالة وهى فى غرب الأزور، ثم اختفت وعليها طاقم مكون من ٣١ بحَّارًا.. كانت الرسالة تقول: «كل شىء جيد».

■ فى إبريل ١٩٣٢، وجدت السفينة ذات الشراعين «جون آند مارى» المسجلة فى نيويورك، عائمة ومهجورة على بعد ٥٠ ميلاً جنوب برمودا.

■ سفينة الشحن «ساندرا» التى أبحرت فى يونيو ١٩٥٠ من سافانا بجورجيا متجهة إلى بويرتو كابللو فى فنزويلا تحمل ٣٠٠ طن من المبيدات اختفت تمامًا ولم يظهر لها أى أثر.

■ ٢٤ ديسمبر ١٩٦٧، اختفت سفينة الركاب «ويتشكرافت» على بعد ميل من ميامى.

■ فى مارس ١٩٧٣، اختفت السفينة «أنيتا» وهى سفينة شحن حمولة ٢٠ ألف طن وعليها بحارتها البالغ عددهم ٣٢، وكانت تبحر من نيوبورت نيوز إلى ألمانيا.

النجاة من نفس المحنة والمكان!

بعد أن نشر فنسنت جاديس كتابه عن مثلث برمودا، تسلم خطابًا من طيار سابق يدعى ديك ستيرن يقول فيه إنه قرب نهاية عام ١٩٤٤ كان يقود طائرته ضمن سرب من سبع قاذفات قنابل متجهة إلى روما وعندما أصبحوا على بعد ٣٠٠ ميل من برمودا واجهت طائرته مشاكل غير متوقعة وتعرضت لاهتزازات قوية؛ مما اضطره للعودة إلى قاعدته فى الولايات المتحدة الأمريكية.

يقول فى رسالته إنه عندما حدث ذلك كان الطقس لطيفًا، والنجوم ظاهرة فى السماء، لكن الاهتزازات كانت من القوة بحيث قلبت الطائرة، لتندفع بقوة ويرتطم الطاقم بالسقف.. تسبب هذا فى فقدان الطائرة للكثير من ارتفاعها حتى أصبحت على وشك الغوص فى مياه المحيط.

عندما عادت تلك الطائرة إلى القاعدة، علم أن طائرة أخرى فقط رجعت من الطائرات السبع، وأن الاتصال اللاسلكى

بالطائرات التى لم تعد لم يكن ممكنًا.. وأن القيادة لم تعثر على أحد أو حطام من الطائرات الخمس.

بعد انتهاء الحرب بعدة سنين، كان ستيرن وزوجته فى رحلة نهارية بالطائرة، من برمودا إلى ناسو فى بريستسل بريطانيا، عندما حدث شىء شبيه بالواقعة السابقة وبالمصادفة المحض، كانت الزوجة تتحدث عن الواقعة السابقة.. فجأة، هبطت الطائرة هبوطًا قويًا بلا سابق إنذار فارتطم الطعام الذى كان الركاب يأكلونه بالسقف واهتزت الطائرة بعنف وظلت الطائرة لمدة ربع ساعة تهتز وترتفع وتهبط.. هكذا تشاء الظروف أن ينفرد ديك ستيرن بمواجهة تلك القوة العاصفة غير المتوقعة لمرتين، وفى نفس المكان من مثلث برمودا.. والأهم أن يخرج من التجربتين حيًا.

وتجربة أخرى.. نورمان بين، المهندس الإلكترونى والمخترع، الذى يُعرف باختراعين هامين لعابرى المحيطات؛ أولهما الدائرة التلفزيونية المغلقة التى تعمل تحت الماء والثانى جهاز طرد أسماك القرش. جرت الواقعة للمركب الذى يعمل بقوة الديزل والذى يطلق عليه اسم (نايت مير) والذى يعنى الكابوس! فى ليلة من ليالى سبتمبر ١٩٧٢، كانت المركب تحمل ثلاثة ركاب متجهة إلى الميناء بعد رحلة صيد سمك فى خليج بيسكاين الذى يقع فى نطاق مثلث برمودا عندما كانت المركب فى طريقها إلى الميناء، لاحظ المهندس القبطان نورمان أن البوصلة تنحرف إبرتها حوالى ٩٠

درجة عن القراءة الصحيحة، قياسًا على أضواء الميناء التى يمضى إليها، ثم أصبحت إضاءة المركب خافتة، ثم انقضت تمامًا كما لو أن البطاريات التى تعمل بها قد فرغت شحنتها.

قرأ البوصلة أدار دفة المركب غربا حيث الطريق إلى الميناء واندفع بكل قوة المحرك، لكن التغير الذى طرأ على مسار المركب كان إلى الشمال!

على مدى ساعتين، كان توجيه المركب إلى الشاطئ دون استجابة.. فى ذلك الوقت، لاحظ ركاب المركب شكلاً داكنًا كبيرًا فى السماء، يحجب النجوم.. ثم شاهدوا ضوءًا متحركًا يخترق المساحة المعتمة ويبقى فى مكانه للحظات ثم يختفى، وبعد ذلك مباشرة اختفى الشكل الداكن الكبير. وهنا فقط، عادت البوصلات إلى عملها، وامتلأت البطاريات وأمكن للقارب أن يمضى إلى هدفه!

هل من تفسير منطقى؟

ويجمع تشارلز بيرليتز، فى كتابه عن مثلث برمودا، الكثير من هذه الوقائع التى اقترب أصحابها كثيرًا من حافة المأساة، وهو يتساءل فى نهاية كتابه عما إذا كان هناك أى تفسير منطقى لهذه الوقائع، محاولاً تقديم احتمالات للتفسير فى مواجهة الكثيرين الذين يعتقدون أن العملية كلها نوع من الوهم الشائع أو الأسطورة التى تجتذب إليها هواة الأمور الغريبة دون قدرة على تفسيرها.

التفسيرات بعضها راجع لظواهر طبيعية، تشتد أحيانًا لتحدث من النتائج ما هو غير مألوف.. وإرجاع بعض الوقائع إلى الدوامات التى تحدث فى أماكن عديدة من المحيطات وبشكل واضح فى البهاماس وداخل مثلث برمودا.. والبعض الآخر يرجع الوقائع إلى الاضطرابات البركانية التى تدفع الأمواج إلى ارتفاع ناطحات السحاب كالتى تسببت فى مآسى تسونامى بجنوب أسيا.

أما اختلال البوصلة فى الطائرة أو السفينة فيمكن إرجاعه إلى اضطرابات فى المجال المغناطيسى للأرض، والذى قد لا نعرفه أن الأرض قد بدلت وعكست قطبيها المغناطيسيين أكثر من مرة على مدى التاريخ.

يختم بيرلتز كتابه قائلاً: إن افتقاد التفسيرات المنطقية الجاهزة، عمد – بعض المهتمين بوقائع الاختفاء التى تحدث فى مثلث برمودا – إلى تفسيرات لا تتفق مع ما هو سائد من قوانين طبيعية، وتحدث البعض عن ثقوب أرضية مثل الثقوب السوداء؛ تلك الظاهرة الفلكية التى تقول بقوة جاذبية هائلة تتيح لهذه الثقوب أن تمتص كل ما يصادفها، بما فى ذلك الضوء، ومن هنا استمدت صفة السواد، والبعض يرجع مسئولية الاختفاء إلى كائنات من الكواكب الأخرى وأيضًا من داخل الأرض! وينتهى البعض إلى التعميم فيقول إن مرجع ذلك إلى أشكال تاريخية من الطاقة وصل إليها

البشر فى الحضارات القديمة ما زالت تفعل فعلها رغم انقضاء تلك الحضارات القديمة!

ويقول آخر الأمر: «كنوع من الأجناس الحية نحن نقترب الآن من النضوج فلا يمكننا أن نتراجع عن السعى إلى معرفة تفسيرات جديدة لهذه الظاهرة إما فى عالمنا المعروف أو ما يليه..».

المحتوى

أحـــدث إصـــدارات

الأستـــاذ

راجي عنايت

- الابتكار والمستقبل.
- أفيقوا يرحمكم الله.
- حكايتي مع المستقبل.. أزمة مستقبل مصر.
- أمريكا.. إلى أين؟!
- الأشرار داخل النظام.
- سلسلة (عجائب):
  - أعجـب البشــر.
  - أعجب الأماكن.
  - أعجب قدرات العقل البشرى.
  - أعجب الظواهر الغامضة.
  - أعجب العقائد الخاصة.
  - أعجب الكائنات.
- سلسلة (عالم جديد لجيل المستقبل):
  - بيت المستقبل.
  - الانتقال فى المستقبل.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة عجائب (٢)

أعجب الأماكن

أماكن عجيبة أثارت فضول البشر.. جسدت أحيانًا أحلامهم، وكانت أحيانًا أخرى كابوسًا يلاحقهم..

من أقدم الأحلام «قارة أتلانتا» التى جسدت حلم المدينة الفاضلة عند أفلاطون.. لقد وصفها وتغنَّى بحضارتها، وحكى عن سعادة أهلها. وعندما بدأت الأجيال بحثها عن تلك المدينة الفاضلة، اختلفوا حول موقعها، هل كانت فى المحيط الأطلنطى، أم فى المحيط الباسيفيكى، أم لم تكن أكثر من جزيرة كريت؟!

و«شانجرى – لا » المدينة الفاضلة الرابضة بين القمم الثلجية لجبال الهيمالايا، جنة أهل التبت، والتى قال عنها الأقدمون «المكان [...] الذى يسوده الهدوء»، وشهدت مولد (نو)، و(كوا)، المناظرين [...] لآدم وحواء.

أمَّا المكان الكابوس، فيتجسَّد فى مصدر الرعب فى البر والبحر [...] برمودا»، الذى ابتلع مئات الطائرات والسفن على مدى السنين دون [...] معقول، ودون العثور على أثر.. نعم، فالأحلام ليست كلها سعيدة!!

الناشر





